الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة-

الكلية العلوم الإجتماعية والعلوم الانسانية

قسم الفلسفة

العنوان :

العقلانية التواصلية

هابرماس أنموذجاً

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:

زرواق خديجة

إشراف الأستاذ:

بوزبرة عبد السلام

لجنة المناقشة

الاسم واللقب		الصفة
بورنان خيرة	.....	رئيسا
بوزبرة عبد سلام	.....	مشرفاً
لصقع الربيع	.....	مناقشا

السنة الجامعية: 2016/2015

إهداء

إلى من بها أكبر وعليها اعتمد...إلى رمز الحب وبلسم الشفاء ...إلى القلب الكبير

إلى من بوجودها اكتسب قوة ومحبة لا حدود لها إلى حكمتي علمي إلى أدبي وحلمي إلى طريقي المستقيم

إلى ينبوع الصبر والأمل ...إلى من عرفت معها معنى الحياة

﴿ أمي الحبيبة ﴾

إلى من اثروني على نفسهم ...إلى من علموني علم الحياة إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة أخوتي

صبرينة، وسيلة، فاتم وزوجته دلال، خالد، سامي

وكذلك لا أنسى أغلى الناس فخر الدين، ملك نور، محمد، لجين

إلى عائلة زوجتي الكريمة أمي زينب وأبي موسى وأخوة وأخوات زوجي

شكر وعرفان

دائما هي سطور الشكر والثناء تكون في غاية الصعوبة عند الصياغة ربما لأنها تشعرنا دوما بقصورها وعدم إيفائها حق من نهديه هذه الأسطر، واليوم أقف أمام الصعوبة ذاتها وأنا أحاول صياغة كلمات الشكر والتقدير للأستاذ الفاضل

"بونزبرة عبد السلام"

إلى من شجعني على اختيار الموضوع الأستاذ عبد الرزاق وكما أقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة، إلى جميع أساتذتي الأفاضل، وكذلك أشكر كل من ساعدني على إتمام هذا البحث ومد لي يد المساعدة وزودني بالمعلومات اللازمة، الشكر موصول لكل من الأستاذ أحمد أمين، أحمد المعتز بالله، الأخ عماد .

مقدمة:

كانت الفلسفة عبارة عن مدارس ومذاهب فلسفية ضخمة متصارعة فيما بينها، حيث شهدت ظهور عدة تيارات فلسفية، وقت حملت أغلب هذه التيارات النقد على التيارات السابقة لها ومن بينها التيارات الألمانية وذلك بخصوص الثورة على كل ما من شأنها المساس بالفكر الإنساني من تفكك وتشيؤ وبراغماتية وهذا ما يؤدي لزوال حرية الإنسان والمساس بكرامته وعدم احترامه من خلال ظهور الصراع والهيمنة وتصدع العلاقات والتجارب على الإنسان والنظرية إليه كآلة بسبب التكنولوجيا ولسبب انتشار سوء الفهم نتيجة الإيديولوجيا وهو ما يؤدي لظهور النزاع والاختلاف.

هذا ما أدى إلى شيوع مبحث التواصل في البحث الفلسفي، إذ أصبح مفهوم التواصل من المفاهيم المركزية المتداولة في الفلسفة المعاصرة، إذ أصبح يشكل نظرية عملية وفلسفية مستقلة بذاتها، كما صنعت نسيج متماسك في الفكر الفلسفي في أوربا وأمريكا في القرن العشرين، وكان له اهتمام بالغ، وما زاد في أهمية هذا المبحث هو علاقة هذا الموضوع الوطيدة بالإنسان خصوصا في فترة تزايدت فيها النزاعات والحروب، وتزايد المشاكل في شتى مجالات الحياة، خصوصا في مجال الاتصال والمعلوماتية والمعاملات، ومن هنا يصبح مبحث التواصل بؤرة الحياة لشموله على الآفاق السياسية والاجتماعية والأخلاقية واللغوية والاقتصادية والثقافية ... إلخ، ولعل إبراز الدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع لدراسته هو كثرة المشاكل الاجتماعية وانعدام التواصل، وهذا بغية الوصول لحلول لتجاوز هذه المشاكل.

وتمثل مدرسة فرانكفورت الرافد الأساسي لمبحث التواصل في القرن العشرين لأن مبحث التواصل في هذه المدرسة مع فلاسفتها، حيث كان يطلق عنها النظرية النقدية، إن ثمة قوى متعددة في عالمنا الحديث هي حالة من التضاد والترابط معا، العلم والتكنولوجيا بوصفهما محررين أو مدمرين، والثقافة بوصفها منبهة وموقظة أو مهدئة فمهمة هذه النظرية هي أن تستقصي هذه الأضداد المترابطة، وهذا ما جلب لها صفة النقدية وهذا ما جاء في كتابات ماركس، حيث أن هذه المدرسة لن تكتفي بنقد المؤسسات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، بل تجاوزت ذلك للبنية الفكرية وبشرت عبر فلاسفتها أن الراهن بالتشيؤ والاغتراب والاستلاب والاستبعاد والإرهاب، ويعد هابرماس الممثل الرئيسي للجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت النقدية والتي اتخذت على عاتقها نقد العقل التنوير، لكن سرعان ما تحول هابرماس إلى ناقد لنظرية النقدية نفسها وجيلها الأول، وانطلق من سد الثغرات التي وجدها في النظرية النقدية مدافعا عن العقل والعقلانية التي رأى أنها أساس النظرية الاجتماعية، حيث كان علم الاجتماع

أحد المكونات الأساسية في مشروع هابرماس الفلسفي، حيث تأثر به الكثيرين من علماء الاجتماع الأمريكيين من بينهم هربرت G.harbert.mead ميد وبارسونز parsons، كما استفاد كثيرا من كانط على المستوى الأخلاقي أو الأساسي.

وكانت فلسفة اللغة أيضا أحد أهم الروافد الأساسية في تكوين نظرية الفعل التواصلي، فقد أهتم هابرماس اهتماما خاصا بأعمال اللغويين وفلاسفة اللغة، خاصة عند كل من جون أوستن john austin وجون سيرل john searle في نظرية أفعال الكلام، إذ اعتبر اللغة الوسيط الأساسي في النشاط التواصلي وعن طريقها يتم الوصول إلى نوع من التفاهم، وقد تبين الكثير من المقاربات التداولية حول اللغة وتوصل لنتيجة مفادها لا يمكنه تأسيس نمط تواصلي جديد يعبر عن مجتمع جديد دون أن يبلغ النقد أداة التواصل الأولى ذاتها، وهي اللغة سواء تعلق الأمر بالتواصل الذاتي أو البيذاتي، فالتفسير الذي لا يتركز على دور اللغة في المجتمع لفهم الأفعال الاجتماعية هو ما دفع هابرماس إلى التركيز على اللغة في نظرية الخاصة فيما يعرف عنده بالمنعطف اللغوي، لأنه يمثل لديه السياق الذي يشكل عملية التفاهم بين الذوات، ويعد كتابه نظرية الفعل التواصلي أهم كتاب في مشروعه الفلسفي فهو كتاب يتوج مجهودات هابرماس في فترة الستينات والسبعينيات.

وقد اعتبر هابرماس أن التفاهم هو رديف للفعل التواصلي لأنه يهد لتحقيق الاتفاق الذي يطلق عليه الإجماع، حيث ربط الفعل التواصلي الذي يقصد منه المجتمع الذي يعيش فيه الفرد بعاداته وتقاليده، لأنه يمثل لديه السياق الذي يشكل عملية التفاهم بين الذوات، ويعد كتابه نظرية الفعل التواصلي أهم كتاب في مشروعه الفلسفي، فهو كتاب يتوج مجهودات هابرماس في فترة الستينيات والسبعينات.

وقد اعتبر هابرماس التفاهم رديف الفعل التواصلي لأنه يهدف لتحقيق الاتفاق، حيث يؤكد على التفاهم في خلق مجتمع تواصلي، فالوظيفة الأساسية لتفاهم تتمثل في تنشيط الاتفاق المعياري المحترم بين أطراف الجماعة، فالتفاهم عند هابرماس مدخل للحديث عن التواصل كغاية قصوى، لأن هدفه الأساسي خلق تواصل حقيقي بين الإنسان والمجتمع، وكما تحدث عن ظروف الكلام المثالية التي لا يمكن أن يحقق بدونها التواصل وهي المساواة الفرص والحرية في التعبير لأن هضم حقوق الإنسان بإمكانه أن يكون عائق أمام التواصل، إذ أن جوهر الفعل التواصلي العقلاني هو الفعل التواصلي القوي القائم على ما أسماه بأخلاقيات النقاش، التي تؤدي لسن معايير كونية قادرة على حل المشكلات التي تعاني منها البشرية.

فإذا كانت الفلسفة الأخلاقية لكانط تنطلق من أن شعور الإنسان بواجبه صار من أخلاقيات فطر عليها، وأن الأخلاق مطلقة فإن التواصل عند هابرماس يفرض أخلاقيات عقلية ينبغي توفيرها في طرفي الحوار والمناقشة ليمل كلا الطرفين لنتيجة من خلال حديثهما، وبهذا يمكن أن يتحقق التواصل، وعليه فإن مفهوم التواصل لدى هابرماس غدا الفاعلية الوحيدة التي بإمكانها إعادة ربط الصلة بين أطراف هذا العالم المتقطع الأوصال، العالم الذي فقد كل مرجعياته ونقاط ارتكازه وتدهورت فيه مرتبة وقيمة الإنسان، وقد ركز على الحقيقة والأخلاق العقلية التي شدد عليها بسبب ظهور المصالح التي ميز بينها في كتابه المعرفة والمصلحة:

- المصلحة التقنية المتمحورة حول تطبيقات العالم التجريبي.
- المصلحة العلمية المنهمكة بالتواصل بين الأفراد والجماعات فيها بينها.
- المصلحة التحريرية والتي هدفها التحرر من كل يعيق الذات وتحررها.

فهو يرى ببناء واقع تواصلي ملموس بشرط أن لا يكون واقع هادف أساسي لتواصل سليم قائم على الصدق والمصداقية لأن هدفه هو بلوغ عقلنة جديدة تدعى العقلانية التواصلية في مقابل العقلانية الأداتية وانتقاد الاتجاهات الوضعانية الجديدة المعجبة بالعلم لدرجة تأليهه، وهذا ما خصص له كتاب العلم والتكنولوجيا، ومحتوى هذا الكتاب هو موقف هابرماس من نتائج العلم والتكنولوجيا التي تحول الإنسان على إثرها إلى أداة.

كما قام بإصدار كتاب الديمقراطية الذي أراد من خلاله بديل الديمقراطية اللبرالية حيث أن الفكرة المحورية حول الديمقراطية التي سعى لقيامها هي قيامها على أساس جماعة متواصلة قائمة على الحوار وأخلاق النقاش والتشاور وبعيدة عن الهيمنة .

إن دراسة هابرماس لأسباب عدو الحفاظ على العقلانية تمحور حول القول الفلسفي للحداثة، وهذا ما جعله يؤسس لمشروع الحداثة الذي رأى أنه مشروع لم يكتمل بع، بسبب وجود بعض المشاكل لم يتم الوصول لها، فعمل على إكماله ضمن التواصل إيمانا منه على إيجاد الحلول لمشكلات العصر الراهن.

واستنادا لما تقدم فإن الإشكالية المحورية التي تدور حول المشروع الفلسفي لهابرماس والتي تشكل محور البحث، ما مدى إمكانية قيام نموذج فلسفة عقلانية تواصلية كونية بعيدة عن الصراع ولإكراه؟ هل يتوافق العقل مع السلطة واللغة التي هي مجال للاتفاق؟

ومنه فما هي المنطلقات السيسيولوجية والفلسفية والعلمية لنظرية الفعل التواصلي؟

وكيف يمكن قيام حوار عقلاني حقيقي؟ وما مدى إمكانية قيام أخلاق تواصلية؟

وإذا كان كذلك ما هي الشروط في ذلك؟

هي أسئلة كثيرة حاولت الإجابة عليها، وكان المنهج الذي اتبعته تحليلي من خلال تحليل مختلف أراء وأفكار هابرماس ، وبما أن هذا البحث لا يخلو من الجوانب التاريخية فقد استخدمت المنهج التاريخي للوقوف على تاريخ مدرسة فرانكفورت، وإبراز التطورات التي ميزتها ، ولمناقشة هذه التساؤلات فقد قسمت بحثي إلى ثلاث فصول تتخللها مباحث فرعية وهي كالآتي:

الفصل الأول: تناولت فيه إرهاصات ودواعي تأسيس فلسفة هابرماس، وكان ذلك موزع عبر مباحث حيث تطرقت لتعريف هابرماس الفيلسوف الألماني، ومراحل فكره وأهم منطلقاته الفلسفية والسيسيولوجية، وهذا يتخلله أهم الفلاسفة اللذين تأثر بهم.

أما المبحث الثاني، فكان يخص مدرسة فرانكفورت من خلال التعريف بها وذلك بدراسة الخلفيات التاريخية لها، وأهم القضايا التي تطرقت لها، ودور هابرماس في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، وذلك بتعريف هذه النظرية وأهم مبادئها والانتقادات التي وجهها هابرماس لها وقد ختمت هذا الفصل باستنتاجات جزئية تتعلق ببعض الإشكالات الفرعية.

أما الفصل الثاني: والذي هو لب موضوع البحث خصصت للعقلانية التقنية عند هابرماس وكان المبحث الأول: لمعالجة العقلانية وامتداداتها، وذلك من خلال تعريف العقلانية وعلاقتها بالبرهنة والهيرومنطيقا والتواصل، والمبحث الثاني: خصص للمعرفة والمصلحة وذلك من بين التفاعل والهيمنة الأداتية وأيضا التقنية والعلم كالإيديولوجيا والرأسمالية كمجال لهيمنة الرأسمالية الأداتية، أما المبحث الثالث فيخص هابرماس والقول الفلسفي للحداثة وذلك بتعريف الحداثة وأبعادها، وفي الأخير ختمت هذا الفصل باستنتاجات.

الفصل الثالث: يعبر عن ماهية اللغة ووظيفتها في التواصل وذلك بتعريف اللغة ووظائفها في التواصل، واللجوء إلى البراجماتيقا العامة لهابرماس، والتطرق في المبحث لشرح النظرية التواصلية وأبعادها، وذلك بتوضيح مراحل الفعل التواصلي وأخلاقيات التواصل والمناقشة وذلك وفق شروط في تحقيق تجربة الفعل التواصلي، والتطرق لعلاقة الإعلام والتواصل ودور التفاهم في التواصل، أما المطلب الثالث يلخص إيتيتيقا النقاش، وشروط الحوار الحقيقي وذلك بشرح أخلاقيات التواصل والمناقشة.

أما المبحث الثالث الذي هو التواصل وعلاقته بالعالم، وذلك بتعريف العالم المعيش وعلاقته بالفعل التواصلي وكذلك التطرق لتداولية الكونية، ونظرية أفعال الكلام وختمت هذا الفصل بالاستنتاجات.

وقد واجهني كأي طالب مقبل على تحضير هذه الرسالة صعوبات لعل أبرزها هو صعوبة ضبط منهجية للموضوع، وعدم القدرة على تحليل النصوص بطريقة منهجية وكذلك عدم القدرة على ترجمة المراجع الفرنسية للغة العربية، لأن هذا يتطلب وقت وجهد.

الفصل الأول

ارهاصات ودواعي

تأسيس فلسفة هابرماس

المبحث الأول: التعريف بهابرماس

المبحث الثاني: مدرسة فرانكفورت ومكانة هابرماس فيها

المبحث الثالث: هابرماس والنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت

تمهيد:

يعتبر الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس من رواد الفلسفة وعلم الاجتماع على مستوى العالم، كما أنه يمثل الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت النقدية، تنوعت كتاباته بين الفلسفة والسيسيولوجيا والإيتيقيا بالإضافة إلى مئات الأبحاث والمقالات المنشورة في كبريات المجلات والجرائد الدولية، حيث يعد كتب نظرية الفعل التواصلي أهم كتاب في مشروعه الفلسفي، فهو كتاب يتوج مجهودات هابرماس في فكرة الستينات والسبعينات، يجمع مرجعيات فلسفية وسوسيولوجية وعلمية ولغوية مختلفة ذات ماهية المنطلقات السوسيولوجية والفلسفية والعلمية النظرية الفعل التواصلي؟ وما هي ابعادها السياسية والاجتماعية والاخلاقية؟

لا يمكن استيعاب مشروع هابرماس الفلسفي دون الرجوع إلى منطلقاته السوسيولوجية والفلسفية والعلمية

الفصل الأول: ارهاصات ودواعي تأسيس فلسفة هابرماس

المبحث الأول: التعريف بهابرماس habermas :

ولد هابرماس في سنة (1929) بمدينة دوساورف وترعرع في كنف أسرة ألمانية من الطبقة المتوسطة تأقلمت مع النظام النازي، دون انتقاد ودون تأييد فعال، وقد تطورت أراؤه السياسية الخاصة للمرة الأولى عام (1945) عندما كان في 16 من عمره قرب نهاية الحرب شأنه شأن المراهقين الألمان من عمره، انظم إلى حركة شباب هتلر وقد درس الفلسفة في شبابه في جوتنجن وزيوريخ وبون، لم يكن راديكاليا في الفترة بين (1949- 1952) وقد انغمس في دراسة أعمال هايدجر لكن سرعان ما نقض عنه افكاره بسبب تملصه من الحقيقة ورفض الاعتذار عن أفعاله.[1]

كما يعد أهم ممثلي الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت وقد أفاد كثير من تطور العلوم الاجتماعية وتعمق في مشكلات نظرية المعرفة وفلسفة اللغة وبعض اتجاهات الفلسفة العاصرة كالأنثروبولوجيا والهيرمينوطيقا وقد انعكست كل هذه التيارات على تطويره لنظرية النقدية أو بمعنى أخر إعادة بنائه[2].

كان أحد وأهم المنظرين الاجتماعيين وأوسعهم انتشارا في حقبة ما بعد الحرب العالمية فهو منظر متعدد التخصصات وهو النقيض التام لما أطلق عليه علم الاجتماع ماكس فيبر* Max Veber (1846-1220) متخصص بلا روح أي الأكاديمي الذي لا يتخطى التخصص الشق لخبرته الخاصة، وقد عكف عن الكتابة منذ 50 سنة، له انتاج فكري ضخم واضافة إلى لشهرته كمنظر اجتماعي وسياسي فهو عميد المسار الديمقراطي في المانيا[3].

درس هابرماس على يد أدورنو Adorno سنوات عدة وه يعتبر بشكل عام الوريث الرئيسي المعاصر لمدرسة فرانكفورت، ولا جدل في انتمائه إلى اليسار إلا أنه وبشكل غير متوقع فهو ينتقد التقاليد الفكرية التي

---

[1]- جيمس جوردن فنليسون، يورجن هابرماس، مقدمة قصيرة جدا، ترجمة أحمد محد الدويبي، مراجعة ضياء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2015، ص 10-11.

[2]- عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، مكتبة الاسكندرية، منشأة المعارف، جلال خوى وشركائه، ص 47.

*- ماكس فيبر 1920-1864) Max vepr): فيلسوف وعالم اقتصادي واجتماعي ومحامي، كان عالما ألمانيا في الاقتصاد والسياسة واحد من مؤسسي علم الاجتماع الحديث ودراسة الإدارة العامة في مؤسسات الدولة، وهو من أتى بتعريف الديمقراطية وعمله الأكثر شهرة هو كتاب الأخلاق البروتستانتية وروح الرأس مالية حيث أن هذا أهم أعماله المؤسسة في على الاجتماع الديني وأيضا عمله الأشهر السياسة كمهنة، درس فيبر جميع الأديان وكان يرى أن الأخلاق البروتستانتية أخلاق مثالية ومنها استقى النموذج المثالي للبيروقراطية والذي يتميز بالعقلانية والرشادة.

[3]- جيمس جوردن فنليسون، مرجع سابق، ص 11.

ينتمي إليها، وقد قدم نقدا جذريا للماركسية ويعود إلى العديد من أفكار بارسونز Parsons [1]، يتوجه هابرماس في أعماله الأخيرة بخاصة في نظرية فعل التواصل إلى فلسفة اللغة ابتغاء توسيع أساس النظرية النقدية وقد قدم أطروحة صعبة يستعملها في ثلاث مراحل:

- يدعو إلى ضرورة التحرر بما يدعوه بفلسفة الوعي التي يعني بها الفلسفة التي ترى العلاقة بين اللغة والعقل كعلاقة بين الذات والموضوع.
- يتخذ الفعل صورتين هما الفعل الاستراتيجي وفعل التواصل الأول يتصف الفعل الغائي العلاني في حين التواصل يرمي للوصول إلى الفهم.
- ويترتب على اعطاء فعل التواصل الأولية عدة أمور:

1- العقلانية ليست مثالا تقتضيه من وسط المساء بل هو موجود في لغتنا ذاتها فهي تستلزم نسف اجتماعي.

2- ثمة نظام أخلاقي ضمني حاول هابرماس الكشف عنه وهو الأخلاق العقلية ويقصد ضمنا نقاش عقلاني.

3- هناك فكرة وجود مجتمع ديمقراطي يحق يكون فيه المجتمع فرص متكافئة للوصول لأدوات العقل في الحوار[2].

تأثر هابرماس بالأحداث التاريخية التي عاشها وكانت محركة لها لاسيما نهاية الحرب العالمية الثانية وانبعاث جمهورية المانيا الاتحادية من اظلالها الاقتصادية والاجتماعية والحرب البرادة والاحتجاجات الطلابية وسقوط جدار برلين ونهاية الاتحاد السوفياتي.[3]

وفي عام 1954 حصل على درجة دكتوراه بأطروحة عن الفيلسوف الألماني المثالي فريدريش شيلنج والتفت بعد ذلك إلى أعمال هربرت ماركوز Herbert Marcise والأعمال المبتكرة لكارل ماركس Karl Marex.[4] ومن أهم مؤلفاته المترجمة :

Théorie et protique النظرية والممارسة .1963

Logique des sciemces sociales منطق العلوم الإجتماعية 1967.

Comaissomce et imtérét المعرفة والمصلحة 1968.

---

[1]- أيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسن غلوم، مراجعة محمد عصفور، مجلة عالم المعرفة، العدد 244، ص ص 305، 306.

[2]- نفس المرجع، ص ص 310 .311.

[3]- جيمس جوردن فنليسون، يورجن هابرماس، مقدمة قصيرة جدا، ترجمة أحمد محد الدويبي، مراجعة ضياء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2015، ص 10.

[4]- المرجع نفسه، ص 11.

- **مراحل فكره**

في المرحلة الأولى: انشغل بنقد شامل للفكر الوضعي الذي ساد في الغرب مع تكور ونضج النظام الرأسمالي ومع تطور منجزات علوم الطبيعة والبحوث التطبيقية والتكنولوجيا المتقدمة استغلال هذا الفكر العقلانية حركة التنوير ونزوحها لتحقيق الحرية والعدل.[1]

في المرحلة الثانية: أمسى هابرماس مهتما بمنهج البراغماتية الأمريكية الذي وضعه ويليام جيمس William James وجون ديوي John Dewey وجورج هربيرت ميد[2].

في المرحلة الثالثة: قدم هابرماس نقد للتكنولوجيا والعلم والأساليب العلمية الوضعية في التفكير حيث ظل منتقد لوجهة النظر القائلة بأن الأنواع المختلفة للمعرفة، النظرية والعملية والنقدية تتشكل في سياق أطر مختلفة وتخدم مصالح مشتركة مختلفة.[3]

المنطلقات الفلسفية

1- ماركس (marx karl)1818- 1883 مؤسس الشيوعية العلمية وفلسفة المادية الجدلية والمادة التاريخية والاقتصاد السياسي العملي، صاحب النظرية الماركسية

يعتبر ماركس من المرجعيات الفلسفية المهمة في فكر هابرماس بصفة خاصة ولدى مدرسة فرانكفورت بصفة عامة حيث أيد هابرماس أن مدرسة فرانكفورت قد انشئت على شكل أفكار ماركسية بقوله " إن الماركسية ليست إلاجزء من فكر التنوير، وهو الفكر العقلاني الذي يرى أن المجتمع جزء من العالم الطبيعي"[4] من الملاحظ ان مهمة مدرسة فرانكفورت هي أنها بلورت مشروع تنويري جديد مرتبط بالماركسية التي لن تؤثر فقط على وريث المدرسة هابرماس بل عنها ككل.

يأخذ هابرماس على عاتقه المرجعيات التي اجرتها مدرسة فرانكفورت تقليد بالمدونة النظرية الماركسية ويضيف إليها مرجعياته الخاصة.[5]

حيث يندرج هابرماس ضمن الامتداد المباشر لمراجعة الماركسية التي كان قد اجراها بشكل واضح باقتراحه منذ 1968 تعويض المزدوجة وهي القوى المنتجة وعلاقات انتاج في العكل والتفاعل ويوجد هنا ما تحق تسميته

[1]- توم بوتومور ، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، مراجعة محمد حافظ دياب، دار أوبا للنشر ، ط2، 2004، ص 160.

[2]-جيمس جوردن فنليسون، يورجن هابرماس، مقدمة قصيرة جدا، ترجمة أحمد محمد الدويبي، مراجعة ضياء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2015، ص 10.

[3]- المرجع نفسه، ص 36.

[4]- أبو النور حمدي أبو النور حسن، يوجن هابرماس، الأخلاق والتواصل، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2012، ص 31.

[5]- يورغن هابرماس، بعد ماركس، ترجمة محمد ميلاد، ، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2002، ص 9.

باضفاء البعد الانثروبولوجي على المادية التاريخية[1]، هنا هابرماس يحاول التمييز بين العمل والتفاعل من خلال القوى المنتجة عن طريق طابع تواصلي وعملي لإتاحة علاقات جديدة للإنتاج.

2- فريدريتش هيجل F. Hegl

فيلسوف ألماني يعد الشخصية المحورية في الفلسفة المثالية الألمانية وفي فلسفة القرن التاسع عشر بوجه عام.

ولد في مدينة شتو تجارت عام 1770 ومات بالكوليرا عام 1831 في برلين[2] يعتبر هيجل أحد اهم فلاسفة الأمان ومن أهم مؤسسي فلسفة حركة الفلسفة المثالية الألمانية.

استطاع هابرماس الاستفادة من فلسفة هيجل خاصة محاضراته حيث وجد هابرماس ضالته في التحرير الهيجلي لذات التي اعتبرها هوية العام والمفرد، الأنا هي عام ومفرد في وقت واحد فالذات عنده في علاقة تفاعل[3] ويقصد هيجل من ذلك الوسيلة التي تتواصل بها أنا مع أنا أخرى ومن خلال ذلك تتحول الاثنتين إلى ذاتين عن طريق التبادل فالإنسان يعترف عملي ذاته بالأخر من خلال استقبال ذات الأخرين ومن هنا أهمية الحوار كتفاعل يركز عليه هابرماس.

كما ينظر هيجل إلى العالم إلى أن العالم انه مجموع كلي من الأشياء التي توجد بذاتها بدرجات متفاوتة، ويلتمسان الحقيقة في موضوعات ينظر إليها على أنها مستقلة عن الذات العارفة حيث يقول " أن الوعي الذاتي لا يبلغ حالة الرضا إلا في وعي ذاتي أخر"[4]وهنا هو يندرج لجدلية السيد والعيد من خلال العمل.

المنطلقات السوسيولولجية

1- جورج هربرت ميد Gorge Herbert mead (1863-1931)

ولد سنة 1863 عالم امريكي في علم النفس الاجتماعي مؤسس النظرية التفاعلية الرمزية بل يعتبر المنظر الرئيسي لها، كما أن عمله الرئيسي الموسوم بالعقل والذات والمجتمع Mindseffandsocietiy (1934) جمع بعد موته من مذكراته طلبته المستمدة من محاضراته التي كان يلقيها عليهم.[5]

تأثر هابرماس بالكثير من علماء الإجتماع الأمريكيين ومن بينهم الوسيولوجي هربرت ميد Herbert Mead الذي أخذ عنه فكرة دور الأخر في تشكيل الأنا إذ يعتبر ميد أن الذات تنشأ وتتطور مجتمعيا من

[1]- يروغن هابرماس، بعد ماركس، ، ص 11.

[2]- توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، مراجعة محمد حافظ دياب، دار أوبا للنشر، ط2، 2004، ص 192.

[3]- يروغن هابرماس، العلم والتقنية، ايديولوجيا، ترجمة حسن صقر، منشورات الجمل، ألمانيا،، ط1، 2002، ص 19.

[4]- هربرت ماركيوز، العقل والثورة هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية ترجمة الدكتور فؤاد زكرياء، الهيئة المصرية لتأليف والنشر، 1960، ص 126.

[5]-أيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسن غلوم، عالم المعرفة، الكويت، أفريل 1999 ، ص 118.

خلال التفاعل الاجتماعي " إن الذات بالأساس بنية اجتماعية وينشأ في التجربة الإجتماعية[1] إذ يبدأ الفرد بالتعرف على ذاته من خلال أراء الأخرين فيه منذ السنوات المبكرة من حياته.

2- **تالكوت بارسونز Talcott Parsons ولد عام 1902-1979 في** مدينة سبرنغ ولاية كولورادو الأمريكية تتميز بنظرية النسق الاجتماعي أي أن المجتمع يملك واقعا وحقيقة اجتماعية مستقلة عند وجود الأفراد استفاد هابرماس من السوسيولوجي بارسونز في معالجته لإخفاقات منهجيات التأويل، وذلك في تشخصيه للطريقة التي تفرض بها خارجيات المجتمع البنيوية كالاقتصاد والسياسة، وكيف أنها تقتصر العوالم الخاصة بالفاعلين الاجتماعيين، وذلك باستعمار العالم المعي، ولاشك بان هذا هو المهم بالنسبة لهابرماس، إذ أنه يجب نقل الاهتمام من حيز الافتراضات المنهجية التي يجب أن تستخدم في دراسة العالم الاجتماعي إلى حيز الاهتمام بكيفية عمل العالم الاجتماعي نفسه[2]، نرى بأن هابرماس استفاد من بارسونز في منهجيات التأويل من خلال تشخصيه وتجلى ذلك عند هابرماس في فهمه لعلاقات العالم الاجتماعي على أنها متكونة من نظام وعالم حياة، ويجب أن ينظر إلى النظام على أنه ينبع جوهريا من عالم الحياة، بمعنى ذات المجتمع هو نتاج لتفاعل الإنساني بين الذاوت والعالم الخارجي على حد سواء[3]، ونجد هابرماس من خلال تأثره ببارسونز وصل إلى أنه نتاج لتفاعل الإنساني بين الذاوت والعالم الخارجي وهذا ما تمسك به من خلال نظرية التواصل.

الفلاسفة الذي تأثر بهم:

1-تيودور أدورنو thodor adorno(1903- 1969)

فيلسوف جمال وناقد أدبي ولد عام 1903 وتوفي عام 1969 أثر في فلاسفة فرانكفورت وخاصة الجيل الثاني كان له اهتمامات أدبية وفلسفية وجمالية وأخلاقية، له تأثير كبير على هابرماس وخاصة في فكرة التشيؤ والاغتراب، وأهتم بفكرة العقل الاداتي ونظرية الفعل التواصلي[4]نلاحظ ان هابرماس تأثر بالناقد الأدبي والفيلسوف أدورنو في فكرة العقل الأداتي ونظرية الفعل التواصلي.

[1]- ستيفان هابر، هابرماس والسوسيولوجيا، ص 95.

[2]- علي عبود الحمداوي، الاشكالية السياسية للحداثة، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط1، 2010، ص 56.

[3]- المرجع نفسه، ص 56.

[4]- رمضان بسطاوي، الأسس الفلسفية لنظرية أدورنو الجمالية، مجلة أوراق فلسفية، القاهرة، العدد 7، 2002، ص 225.

فقد وصف هابرماس أنه تلميذ لـ أدورنو إذا كانت المداخلة الهابرمسية الأولى يمكنها أن تفوق عند الاقتضاء بوصفها مجرد تعليقات على أقوال هذا الأخير فإنها تطورت بالفعل منظور ضمنيا سلفا نقديا إزاء الأداتي الأدورنية للعلوم الاجتماعية الحديثة[1]

نجد أن هابرماس وصف نفسه أنه تلميذ أدورنو إذا كانت المداخلات التي يقوم بها يمكن أن تفرق على أساس انها مجرد تعليقات على أقوال ادورنوا

المبحث الثاني: مدرسة فرانكفورت ومكانة هابرماس فيها

مدرسة فرانكفورت

إن مدرسة فرانكفورت هي التيار الذي تحقق في فرانكفورت عند إنشائها بقرار من وزراة التربية بتاريخ 03 فبراير 1923 بالاتفاق مع معهد الأبحاث الاجتماعية

ومنشأ المعهد هو مبادرة من فيلكيس ج. فايweli.j هو دكتور في العلوم السياسية وولدت هناك فكرة مؤسسة دائمة على شكل معهد مستقل للأبحاث وكان أول مدير له جونبرج k-grumberg وكان الافتتاح العلمي في 22 يونيو 1924[2]اذن مدرسة فرانكفورت هي شعار حدث إنشاء المعهد في فرانكفورت عن طريق نخبة من الفلاسفة وعلماء الاجتماع والاقتصاد والنفس والنقد الأدبي والجمالي.

وكان المخططون الرئيسيون وراء هذا التأسيس لما كان يعد في تلك الأيام معهدا فريد من نوعه هو فيلكس فايل وفريدريش يولوك **وماكس هوركهايمر*** الذي أصبح مديرا للمعهد فيما بعد وفي سبتمبر 1922 قدم فيليكس قايل Felix Qaal مذكرة حول إنشاء معهد للبحث الاجتماعي موجهة إلى القائم على جامعة فرانكفورت وفي هذه الوثيقة التي تمثل العلامة الأولى على نشوء عقلية أصبح شهور فيما بعد باسم مدرسة فرانكفورت.[3]

حيث يطلق على هذا التيار الذي يدعو ويؤكد على الحداثة الفلسفية ويمثل أهم تيار مقابل الاتجاهات الحالية التي ترى أن الحداثة استنفذت مهامها، ويطلق عنها اسم النظرية النقدية وقد أنشأ عام 1931 ملحق

[1]– ستيفان هابر، هابرماس والسوسيولوجيا، ترجمة وتقديم محمد حديدي، منشورات الاختلاف، دار الايمان الرباط، ط1، 2012، ص 22.

[2]– سعيد اسماعيل علي، فلسفة تربوية معاصرة، عالم المعرفة، يونيو 1995، العدد 198، ص 125.

ماكس هوركهايمر Max Horkheimer (1895–1973): فيلسوف وعالم اجتماع ألماني اشتهر بمجهوداته في النظرية النقدية كعضو في مدرسة فرانك فورت الفلسفية للأبحاث الاجتماعية أهم أعماله: بين الفلسفة والعلوم الاجتماعية (1930–1938)، فيلسوف العقل 1947، وبالاشتراك مع ثيودور أدورنوا ألف كتاب حول التنوير (1947) ساهم كعضو في مدرسة فرانكفورت في التخطيط والدعم لعدد من الأعمال الفكرية للمدرسة والتنبيه لها، ترأس معهد العلوم الاجتماعية بجامعة فرانكفورت في عام 1931 وساهم في تغيير سياسته من الاهتمام بالقضايا العالمية إلى النظرية النقدية والفلسفة الاجتماعية.

[3]– فيل سليتر، مدرسة فرانكفورت – نشأتها ومغزاها وجهة نظر ماركسية، ترجمة خليل كلفت المجلس الأعلى للثقافة، ، ط2، 2013، ص 21.

للمعهد في جنيف ثم في فبراير 1932 استقر به مكتب من 21 عضو[1] حيث تمثل مدرسة فرانكفورت التيار الذي يؤكد على الحداثة الفلسفية ويمثل أهم تيار لها.

ان تراث النظرية النقدية يعد إلى ما يزيد على خمسة وسبعين عاما، هي الأعوام التي نصت على ابتداء تسميتها بهذا الاسم عام 1923 في معهد البحث الاجتماعي في مدينة فرانكفورت الألمانية التي أعطت هذه النظرية اسمها الاكثر شيوعا مدرسة فرانكفورت[2]

يعد اسم مدرسة فرانكفورت اصطلاحا فضفاضا استعمل بأثر رجعي post foct أما الإسم الذي أطلقه فريق هوركهايمر النظرية النقدية للمجتمع.[3]

يمكن التمييز في الواقع بين اربعة مراحل واضحة المعالم في تاريخ المعهد ومدرسة فرانكفورت

المرحلة الأولى: تقع بين عامي (1923-1970) كانت بحوزتها متنوعة للغاية ولم يكن المعهد مستوحى اثنائها مفهوم معين[4] أي أن البحوث التي يقوم بها لا تنصب في مجال معين بل تشمل جميع مجالات الحياة ولم تكن مرتكزة على مفهوم معين، وقد كانت قائمة على جميع تشكيلة واسعة في المعطيات المتعلقة بكل جوانب الحياة وكانت مهمتها تفحص كل تعبير من تعابير الحياة المجتمع[5].

المرحلة الثانية: مرحلة المنفى في أمريكا الشمالية ما بين عامي (1933-1950) ترسخت فيها الأفكار المميزة لنظرية النقدي الهيجلية الجديدة.

المرحلة الثالثة: مرحلة التأثير الفكري والسياسي الأدبي[6]، حيث أن مدرسة فرانكفورت في هذه المرحلة صار لها دور بارز فكري وسياسي.[7]

كما جاء حول النظرية النقدية في الجزء الثاني من (قاموس الفكر السياسي) كان للنظرية النقدية دور هام في تشكيل الوعي السياسي الحديث، حيث كتب كارل ماركس يقول: وكما تجد الفلسفة سلاحها المادي في البروليتاريا، وكذلك فإن البروليتاريا تجد سلاحها الثقافي في الفلسفة.

ان مدرسة فرانكفورت قد صنعت اسلحتها عن طريق حركات واعية او غير واعية له.

---

[1]- أبو النور حمدي أو النور حسن، يورجن هابرماس، الاختلاف والتواصل، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2012، ص 19.

[2]- ألف هاو، النظرية النقدية مدرسة فرانكفورت ترجمة ثائر ديب، ، دار الحديث للنشر، ط1، 2010 ،ص 120.

[3]- فيل سليتر، مدرسة فرنكفورت ، ص 57.

[4]- توم بوتمور، مدرسة فرانكفورت، ص 40.

[5]- المرجع نفسه، ص 41.

[6]- المرجع نفسه، ، ص 41.

[7] - المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

المرحلة الرابعة: (1969-1973) انحسر تأثير مدرسة فرانكفورت

حيث حادت في سنواتها الأخيرة بعيدا عن الماركسية التي وهبتها الحياة في الأصل ولها الإجمالي للنظرية الإجتماعية في الابتعاد عن الأشكال الجديدة أو المتجددة في الفكر الماركسي.

القضايا الرئيسية عند مدرسة فرانكفورت.

1- النظرية والممارسة

النظرية النقدية هي مجموعة القضايا التي تشكل اطارا عاما نظريا لنقد النظام الاجتماعي القائم على محاولة الكشف عن تناقضه بحثا عن نظام اجتماعي تنعدم فيه التناقضات وقد ظهر مصطلح النظرية النقدية يشكل مقصود عندما نشر مقالته عام 1937 بعنوان الفلسفة النقدية[1].

تعتبر النظرية النقدية أن من قضايا الرئيسية النظرية والممارسة.

وقد اهتمت النظرية النقدية بنظرية المعرفة ولكنها تصر على العلاقة بين ما هو قائم وبين ما يجب أن يكون[2]، نلاحظ أن النظرية النقدية اهتمت بنظرية المعرفة لكن وفق ضرورة العلاقة بين ما هو قائم وما يجب أن يكون.

2- مقولة التشيؤ والاغتراب

تعتبر هذه المقولة إطارا مرجعيا لمعظم أفكار فلاسفة المدرسة النقدية وفحواها أن البشر مغتربون عن امكاناتهم وماهيتهم، فالمجتمع الصناعي المتقدم يكتشف عند اغتراب الانسان وتشيئه في ظواهر عديدة متنوعة، وتظهر مقولة التشيؤ والاغتراب في تسلط النظم البيروقراطية وأساليب القمع الإداري، والاغتراب الإنساني يظهر في عملية توحيد الحاجات البشرية.[3]

كما نتجت عقبات أخرى بين العلم والرأي العام تعطل مبدئيا مسيرة التواصل، وأقصد بذلك الإنجاز البيروقراطي الذي ينتج من تنظيم مؤسسات من بينها تعطل مبدئي في مسيرة التواصل من خلال العلم والرأي العام فيما يخص الثقافة والبحث والنظرية.

[1] - حسن حماد، النظرية النقدية عند ماركيوز، دار التنوير للطباعة، بيروت، ط1، 1993، ص 108.

[2] - أيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسن غلوم، ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 244، ص 300.

[3] - أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس، الاخلاق والتواصل، التنوير لطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2012، ص 44.

وقد اشتق الاغتراب في أصله من الكلمة اللاتينية Alientio وهو اسم يستمد معناه من الفعل اللاتيني Aliemore بمعنى ينقل أو يحول أو يسلم أو يبعد وهذا الفعل مأخوذ من كلمة لاتينية أخرى هي aliesus بمعنى الانتماء إلى الأخر وهذه الكلمة المشتقة من كلمة Alius بمعنى الأخر أو أخر.[1]

إن المعنى الحقيقي لكلمة الاغتراب هو نقل او تحويل إلى الأخر ومن الذين طورو مفهوم التشيؤ هو واحد من أهم الفلاسفة المؤثرين في مدرسة فرانكفورت هو " لوكاتش Lukacs " فقد وضح أن التشيؤ هو تحول لصفات الإنسانية إلى أشياء جامدة واتخاذاها لوجود المستقبل واحتسابها لصفات غامضة غير انسانية.[2]

والمقصود من التشيؤ هو ظاهر من خلال تحول الإنسان لسلعة يباع ويشتري لأن البشر تحولوا لأشياء يمكن بيعها شرائها.

3-العقل الأداتي أو العقلانية التقنية

يعد العقل الأداتي أو العقلانية التقنية بحق من المصطلحات الأساسية والجوهرية في قضايا النظرية النقدية فقد ظهر عند ظهور هوركهايمر من خلال كتابه: جدل التنوير وظهر مع ماركيوز من خلال مؤلفه الانسان ذو البعد الواحد والعقل الأداتي لدى هؤلاء هو منطق التفكير وأسلوب في رؤية العالم[3] حيث يتم من خلاله الوصول للمعرفة وإدراك الحقائق فهو منطق التفكير ويعتبر هابرماس العقل الأداتي هو أمير دليل على ظاهرة التمركز حول العقل العلمي التقني ويبدي طيف أن حركة التصور العلمي في عصر الأنوار أدت إلى ظهور هذا العقل الأداتي ومنها الآليات التي وضعها وارساها النظام الحديث أو بالأحرى المجتمع الحديث، لذلك نقترح حلا جذريا لهذا التمركز وذلك بما اسماه العقل التواصلي فالإنسان الذي تحكمت فيه العقلانية التقنية يعرض تقنياته المتجددة على الطبيعة والمجتمع تحقيقا لإرادته في عقلانيتها ومن ثم فرض سيطرته.

لقد استطاع هابرماس أن يستخلص السمات العامة للعقل الاداتي من حيث أنه استراتيجية للاختزال والنظرة التماثلية للواقع وعدم اهتمامه بالخصوصية العقل الأداتي عندما ينظر إلى الانسان باعتباره جزء يشبه الأجزاء الطبيعية والمادية، فالعلاقة بين الإنسان والعقل الأداتي هي علاقة كمية، ومن خلال هذه السمات للعقل الأداتي يصبح الإنسان عاجز عن ادراك العلميات الاجتماعية والسياسية والتاريخية أن سبب انتقاده للعقل الأداتي هو نظرته للإنسان باعتباره يشبه الأجزاء الطبيعية والمادية، ولهذا اقترح ما ساماه بالعقل التواصلي وهو عقل يرتبط بالحداثة ينتهجها وتنتهجه ويستفيد من كل المعطيات العقل النقدي ويتجاوز

[1]- محمود رجب، الاغتراب، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1972، ص 33، 44.

[2]-أيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسن غلوم، الكويت، عالم المعرفة، عدد 244،1999، ص 309.

[3]- أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورجن هابرماس، الاخلاق والتواصل، التنوير لطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2012، ص 46.

انتكاسات العقل الأداتي، وطرح نفسه بديلا للممارسات العقلية الاجرائية منها التي تتمحور حول العقلانية التقنية بنزعتها العلمية الوضعية والعقلية الخالصة التي تمركزت حول ذاتها في الميتافيزيقا[1].

نجد ان هابرماس اقترح العقل التواصلي بسبب نظرته للإنسان بأنه يشبه الأجزاء الطبيعية والمادية فالعقل التواصلي في نظره مرتبط بالحداثة.

4- المعرفة والمصلحة

يرجع الفضل إلى بيان هذه المقولة إلى هابرماس فهو يميز بين المعرفة والمصلحة لهذا كتب بهذا العنوان وقد سعى هابرماس إلى تأسيس **ابستمولوجيا*** نقدية لتحديد مجالات كل نوع من العلوم على حدا واقناع المصالح الي تحرك مختلف المهارات التي تنتهجها هذه العلوم حيث لا يحدث خلط بين المستويات وأن لا يفرض نموذج واحد على جميع المجالات المعرفية الأخرى، فهو يميز يميل للمصلحة التحريرية وهذه المصلحة لا تكون نشطة إلا داخل العقل النقدي الذي لا يكشف المصالح المحركة للأنشطة التي تسمح بها الضغوط نحو التحرر[2]ميز هابرماس بين المعرفة والمصلحة التي تترتب معن العلوم وقد كان مائل للمصلحة التحررية التي تتخلل ضمن العقل النقدي.

وتجدر الاشارة إلى أن هابرماس يميز بين ثلاثة أنواع من المصالح المصلحة التقنية أو الأدائية التي تنظم العلوم التجريبية، التحليلية المجال الثاني للمصلحة له طابع عملي pratique وهو مجال التواصل الذي يحصل بين البشر، أما النوع الثالث فهو من المصالح فهو يسميه بالمصلحة من أجل التحرر وهي مرتبطة بحقل العلوم الاجتماعية النقدية وهو ما يتعلق بالماركسية والتحليل النفسي[3].

حيث أنه في كتبه المعرفة والمصلحة رسم فيه الخطوط التأويلية النقدية بتقسيمه للمصلحة البشرية إلى ثلاث أقسام: تقنية وعملية تحررية حيث يستخلص هابرماس أن المصلحة العملية تقضي إلى نوع ثالث وهي مصلحة الإنصاف والتصور الذهني مرتبطة باللغة.

---

[1]- عبد الغاني بارة، الهرمينوطيقيا والفلسفة نحو مشروع عقل تأويلي، الدار العربية للعلوم، ناشرون ، لبنان ، ط1، 2008، ص 63.

الإبستيمولوجيا هي فرع من فروع الفلسفة تهتم بطبيعة مجال المعرفة أو نظرية المعرفة العلمية وتعني البحث في مكان المعرفة ومصادرها وطبيعتها، فالبحث في أماكن المعرفة يتضمن النظر في أماكن الوجود أو العجز عن معرفته وفيما إذا كان في وسع الإنسان عن طريق العلوم المختلفة أن يدرك الحقائق اليقينية، فالابستيمولوجيا تعني اشتقاقيا دراسة العلم وهي ابتكار جديد كفرع من فروع الدراسات الفلسفية.

[2]- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، في الفلسفة النقدية المعاصرة، نموذج هابرماس، افريقيا الشرق، بيروت، ط2،السنة ، ص 68-69.

[3]- المرجع نفسه ، ص 67-68.

الخلفية التاريخية لمدرسة فرانكفورت

1- تأسيس المعهد:

معهد فرانكفورت للبحث الاجتماعي، وهو ما سوف يصبح معروفا فيما بعد باسم مدرسة فرانكفورت، تم تأسيسه في عام 1922، وأفتتح رسميا في يونيو 1923 وكان المخططون الرئيسيون وراء هذا التأسيس لما كان يعد في تلك الأيام معهدا فريدا من نوعه هم: فيليكيس felix weil بريد ريتش يولوك (..) وما كتب هوركهايمر الذي أصبح مديرا للمعهد فيما بعد.

وفي سبتمبر 1922 قدم فيلكيس قايل مذكرة حول انشاء معهد للبحث الاجتماعي موجهة إلى القائم على جامعة فرانكفورت في هذه الوثيقة التي مثلت العلامة الأولى على نشوء عملية ما اصبح مشهورا فيما بعد باسم مدرسة فرانكفورت[1].

وبعد فترة أدار جروينبرج المعهد حيث ألقى افتتاحية تعاطف المعهد مع الماركسية فقد جاهر المدير بأنه معاد لنظام الاجتماعي والاقتصادي السائد فأقرأنه ينتمي إلى الملتزمين بالماركسية ورأى أن هذا المنهج سيتم تدريسه كمفتاح لحل مشكلاتنا[2]، فقد كانت توجهات بحوث المعهد نحو أطروحات الماركسية الأرثوذوكسية ونحو أنشطة الحركة العمالية الاوربية

وفي يناير 1931 خلفه هوركهايمر وانظم إليه معظم المفكرين المشهورين فيما بعد: **ماركيوز*** وادورنو وقد شاء هوركهايمر أن ينفتح المعهد في عهده على أفاق معرفية أخرى كالفرويدية والظاهراتية وعلى مزيد من الجوانب الثقافية والايديولوجية اتساقا مع المتغيرات الاجتماعية التي انتابت ألمانيا وأوروبا.[3]

ومع استيلاء هتلر على الحكم في المانيا اغلق المعهد وصودرت مكتبته وغادر اعضاؤه عام 1933 الى بعض العواصم الأوروبية وأنشأ فرعا له في جنيف أطلق عليه اسم" المؤسسة العالمية للبحث الإجتماعي" وكونوا له ادارة

---

[1]- فيل سيلتر، مدرسة فرانكفورت (نشأتها ومغزاها وجهة نظر ماركسية) ترجمة خليل كلفت، ط2، 2003، ص 21.

[2]- المرجع نفسه ، ص 22.

*- **هربرت ماركيوز Harbert Marcuse (1898-1979)**: فيلسوف ومفكر ألماني أمريكي معلوف بتنظيره لليستر الراديكالي وحركات اليسار الجديد ونقده الحاد للأنظمة القائمة، حصل على الدكتوراه في جامعة فراسبورغ عام 1922، كان منتسبا لمعهد الدراسات الاجتماعية في فرانكفورت حيث كان يشكل جماعة فكرية الثقافة حيث يمثل الجناح اليساري فيها وقد ركز في كتاباته على نقد الرأس مالية وتحديد الأطروحات الماركسية، كتبت مجموعة من المقالات في الثلاثينيات من القرن الماضي وخاصة كتابه العقل والثورة 1941، داعيا إلى نظرية اجتماعية جدلية مناقضة للعلم الاجتماعي الوضعي كما عند أوغست كونت.

[3]- توم بوتومور، ترجمة سعد هجرس، مراجعة محمد حافظ دياب، دار أوبا للنشر. ط2، 2004، ص 17.

جماعية اضافة إلى فرعين أخرين له في لندن وباريس وقد عاد مرة أخرى عام 1951 إلى موقعه الأصلي في مدينة فرانكفورت حيث عرف لأول مرة باسم مدرسة فرانكفورت ليشهد عام 1960 حله ونهايته.[1]

المبحث الثالث: هابرماس والنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت

تمهيد

لقد اعتبر هابرماس الممثل الرئيسي للجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت وقد ارتبطت مدرسة فرانكفورت باسم النظرية النقدية التي تعتبر أهم المعالم الفكرية لمدرسة فرانكفورت التي كثيرا ما اطلق عليها اسم النظرية النقدية.

وقد شكلت النظرية النقدية الأساس الفكري لمشروع هابرماس الحداثي وقد كانت مدرسة فرانكفورت هو الاسم الذي اشتهر من خلاله حيث استطاع أن يخلص لنقد الفلسفي وبهذا أعطى لتنويره دلالة إيجابية فعالة.

المبحث الثالث: هابرماس والنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت

إن النظرية النقدية لهابرماس لا تشغل نفسها بالتحليل على مستوى الأنساق بقدر اهتماماتها بالتفاعل الرمزي المشكل عبر اللغة[2] وذلك استناد إلى حقيقة مهمة هي أنه على الفرد يستوعب أدوار الأخرين بل وعليه التفاعل معهم لأن المعنى موضوع خاضع للتفاوض والتداول بين الأفراد.

إن هذا التعديل الذي أجراه هابرماس على النظرية النقدية يجعله قائد حركة التحول اللغوي ويرى أن ذلك لن يقودّ إلى التخلي عن الأمل في تحقيق المعرفة النقلية أو الأخلاق العلمية، بل بالأحرى يمكن أن نجد في فلسفة اللغة أو ربما اللغة في ذاتها المعايير لمثل تلك المعرفة والأخلاق.[3]

إن نظرية هابرماس النقدية تعد بمثابة أخلاق جديدة للنقاش والحوار من أجل التواصل وخلق التفاعل في المجتمع لتحقيق المعرفة وفق مبدأ خلقي قائم على أساس خلقية.

وهو الأمر الذي نلمسه في أعمال هابرماس الأخيرة وبصفة خاصة في نظرية الفعل التواصلي من خلال توجهه إلى فلسفة اللغة وذلك ابتغاء توسيع أسس النظرية النقدية.[4]

---

[1]- توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، نفس المرجع، ص 18 .19.

[2]- يقول هابرماس في هذا الصدد " أنا أفهم (...) تحت مقولة الفعل التواصلي تفاعلا متوسطا رمزيا هذا التفاعل يتكون حسب معايير صالحة الزاميا تحت توقعات سلوكات متبادلة يجب أن تفهم ويعترف بها قبل ذاتين فاعلتين على الأقل، فالمعايير الاجتماعية تزداد قوة من خلال التوافقات على أن معناها يتموضع في التواصل عبر اللغة المتداولة" ، أنظر هابرماس، العلم والتقنية كإيدلوجيا، ص ص 56، 57.

[3]- إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس ، ص 346.

[4]- المرجع نفسه، ص 349.

من مبادئ النظرية النقدية

1-العقل الديناميكي والسياسة

إن الفكر الديناميكي مبدأ منهجي لدى النظرية النقدية فهو مبدأ اساسي مرتبط حيث ترمي النظرية النقدية أن تكون ديناميكية من ناحية سياسية لأن العقل والواقع مرتبطان على نحو ضمني واحد مع الأخر، فما تزعمه النظرية النقدية هو أن خاصية التفاعل جيئة وذهابا التي تتسم التعقل الديناميتكي هي خاصية تعكس علاقة هذا التعقل المحايثة الديناميكية بالواقع الاجتماعي الذي هو عبارة عن سيرورة عملية، ديناميكية بحيث يكون الاثنين عبارة عن وحدة للنقديين لأن مهمة النظرية النقدية هي أن تستقصي هذه الأضداد ديناميكيا.[1]

العقل الديناميكي مبدأ أساسي في النظرية النقدية لأن العقل مما يتضمنه من أفكار والواقع مرتبطان واحد مع الأخر لأنهما عبارة عن سيرورة الأفكار والواقع.

1- نقد النظرية والنزعة العلمية

إن أول كتاب اعطى لهابرماس شهرة ومكانة عالمية هو بلا شك كتاب العلم والتقنية كإيديولوجيا 1979 وهو يبين من خلاله أن الإنسان أصبح يشهد تطورا واضحا في البلدان الرأسمالية الأكثر تقدما وذلك من خلال ارتباط العقلية المتقدمة للمجتمع بأسسه النقدي العلمي والتقني من خلال اختراق العلم والتقنية لمجالات المجتمع[2] حيث ظهر تطور واضح للبحوث والتقنية وتطور التكنولوجيا واصبح العلم أساس في التبادل والتواصل لأنه أصح الإيديولوجيا المتحكمة في المجتمعات المعاصرة.

حيث يرى هابرماس أن الرأسمالية الحديثة أصبحت تتميز بهيمنة الدول على الاقتصاد وعلى المجالات الاخرى للحياة الاجتماعي وأن شؤون الحياة العامة لم يعد ينظر اليها باعتبارها مجالاً لتقاس والاختيار بل باعتبارها مشكلات تقنية تحل بواسطة خبراء يستخدمون في علمهم عقلانية ذاتية،[3]حيث أن الواقع الجديد أصبح مسيطر على الإنسان لحد تفويض الكومبيوتر بالقيام بدور الشأن العام بدلا من التنظيمات الاجتماعية.

[1]- ألف هاو، النظرية النقدية، ص 20.21.

[2]- يورغن هابرماس، العلم والتقنية، كإيديولوجيا، ترجمة حسن صقر، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2003، ص 43.

[3]- ايان كريب، النظرية الاجتماعية من بارنسوز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، مراجعة، محمد عصفور، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني والثقافة الوطنية والفنون والأدب، الكويت، عدد 240، 1978،.، ص 314.

ويظهر لي جليا بأن العلم كمثل هذا ethos لا يمكنه تقديم أي شيء، وبأن تحديد الوعي الأخلاقي لا يمكن أن ينتج عن طريق المناقشات العلمية،[1] من خلال المشاكل التي طرأت في الحياة بسبب تطور العلم والتكنولوجيا حيث أصبح إيديولوجيا متحكمة في المجتمع إذ أصبح المجتمع في هيئة آلة وعليه فإن الوضعية بصفة عامة عاجزة عن تحقيق الفهم الصحيح للحياة الاجتماعية فالتكنولوجيا تنشأ بالضرورة شكلا من التسلط على البشر.

كما يمضي هابرماس إلى نقد الفصل الوضعي للحقائق عن القرارات هي خيارات القيم " أي إلى نقد الفرضية القائلة بأن هناك من ناحية تناسق تجريبي في الظواهر الطبيعية والاجتماعية يمكن صياغته في قوانينها [2] الوضعية حسب هابرماس ما هي إلا وجه من أوجه السيطرة على الإنسان والطبيعة حيث أصبحت بذلك ايديولوجيا تمثل خطر على العقل والعلم في حد ذاته.

2- نقد التقنية والنزعة التكنوقراطية *

لقد انتقد هابرماس الوضعية متهما اياها بأنها تعمل على إعطاء المشروعية للسيطرة التقنية[3] فالتقنية ذاتها سيطرة على الطبيعة وعلى الإنسان سيطرة منهجية عليمة محسوبة وحاسبة[4] فالتقنية اتسع مداها في عدة مجالات سواء العلمية أو اساسية.

كما يؤثر طغيان الدولة وزيادة سيطرة الطبقة التكنوقراطية في اضعاف دافعية الناس للمشاركة في النظام،[5] فالسيطرة على المجتمع تدفعه لإضعاف المشاركة في النظم الاجتماعية.

فالتقنية لها علاقة بالنزعة التكنوقراطية يتبين ذلك جيدا عندما يعود هابرماس إلى ماركس الذي كان أول من رصد أن التكنوقراطية مرتبطة بالتقنية إن لم تكن صنيعتها [6]، يعني هذا الطرح أن التكنوقراطي لها علاقة بالتقنية.

---

[1]- يورغن هابرماس، جدلية العلمنة العقل والدين، تقديم حميد لشهب، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ،ط1، 2013، ص 68.

[2]- توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت . ترجمة سعد هجرس، مراجعة محمد حافظ دياب، دار أوبا للنشر، (د.ب) ط2، 2004، ص 105.

*- **التكنوقراطية** كلمة أصلها يوناني من كلمتين هما تكني في وتقني وكراتس سلطة وحكم وباعتبارها شكلا من أشكال الحكومة تعني حرفيا حكومة التقنية ويقال حكومة الكفاءات وبناء على ذلك فإن الحكومة التكنوقراطية تتشكل من الطبقة العلمية الفنية غير حزبية فهي لا تهتم كثيرا بالفكر الحزبي والحوار السياسي، وهذه الحركة بدأت عام 1932 في الولايات المتحدة الذي يمكن القول أنها مصطلح سياسي نشأ مع اتساع الثورة الصناعية.

[3]- يذكر هابرماس بما قاله ماركوز عن العقلنة " وترتبط العلاقة المتقدمة للمجتمع بأسسه التقدم العلمي والتقني بالقدر الذي يخترق فيه كل من العلم والتقنية المجالات الماسة للمجتمع" هابرماس : العلم والتقنية كإيديولوجيا، ص 43.

[4]- هابرماس، العلم والتقنية كإيديولوجيا، ص 49.

[5]-أيان كريب، النظرية الاجتماعية، ص 49.

[6]- يورغن هابرماس، أخلاق التواصل، ص 49.

حيث يؤكد هابرماس على أن هناك سلطة قاهرة في ظل التقنية من خلال سيطرة التقنية على الطبيعة والنتيجة المترتبة على ذلك النظام العلمي يصبح جزء من الطبيعة نفسها وتنحصر أهمية ودور العقل في التكيف مع البيئة.

تشخيص هابرماس لأسباب فشل النظرية النقدية واعادة بعثها من جديد

تعتبر النظرية النقدية بصفة عامة نقدية بالمعنى الذي يكشف كيف أن المجتمع القائم هو مجتمع لا عقلاني أو فهمي وذلك أملا في التغير وتحسين الأوضاع حيث حاول هابرماس أن يحصي أهم الأسباب التي أدت إلى فشل النظرة النقدية ومن بين القضايا العامة التي سلط هابرماس عليها الضوء، نوع العلاقات الإجتماعية والاتصالات الرمزية، والسلطة التكنوقراطية، الديمقراطية[1].

ويؤكد هابرماس أن مدرسة فرانكفورت قد انشئت على شكل أفكار ماركسية بقوله " أن الماركسية ليست إلا جزء من فكر التنوير وهو الفكر العقلاني الذي يرى أن المجتمع جزء من العالم الطبيعي[2] نجد هنا أن هابرماس يؤكد على تأثر مدرسة فرانكفورت بالأفكار الماركسية التي اعتبرها جزء من فكر التنوير الذي يتمسك بالعقلانية.

وبالرغم من تأثر المدرسة النقدية الكبيرة بالماركسية إلا أنها لا تقبل المقولات الماركسية كما هيا، مما يجعلنا نرى أنها في وقت واحد أي النظرية النقدية هي نقد للمجتمع وتطوير للماركسية مما جعل البعض يرى أنه بالرغم من تأثر المدرسة بالماركسية إلا أنها ترفض مناقشة علاقة البناء الفوقي للبناء التحتي وهذا ما يؤكد التمرد من جانب النظرية النقدية على الماركسية خاصة في مراحل نمو ونضج النظرية النقدية[3] ان ما يعيب على الماركسية بالجوانب المادية وغيبا العلاقات الإنسانية والتفاعل الاجتماعي الذي قوامه اللغة وهو الجانب الذي انطلق منه هابرماس في إعادة بناء النظرية النقدية.

كما نجد هابرماس ركز على نقد المعرفة والدور الايديولوجي للعلم والتقنية الحديثة ومحاولة تخليص العلاقات الاجتماعية والسياسية من ضباب الايديولوجيا خاصة من خلال كتابه العلم والتقنية كايدلوجية وكذلك في كتاب المعرفة والمصلحة[4].

[1]- توم بوتومور، مدرسة فارنكفورت، ص 125.

[2]- هابرماس، بعد ماركس، ترجمة محمد ميلاد، دار الحوار للنشر، سوريا، ط1، 2002، ص 5.

[3]- أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، التنوير لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2012، ، ص ص 33.34.

[4]- بليمان عبد القادر، الأسس العقلية للسياسة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 2.

الاستنتاج في الفصل الأول:

يمثل هابرماس الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت كما انه قد تقاسم العديد من الأفكار مع أقطاب الجيل الأول لكنه يختلف معهم في الكثير من الآراء بالأخص مع ادورنو وهوركمايمر ،فقد كان لهبرماس في ها ته المدرسة مكانة عالية.

أكد هاربماس أن منطلقا ته الهيجيلية والماركسية ،حيث اعتمد على الديالكتيك الهيجلي من اجل تطوير نظريته النقدية، وان كانت انطلاقته ماركسية من خلال تحليله لفكرة العمل عند ماركس، هذا فضلا عن اهتمامه بالنظرية الماركسية من خلال التركيز على البني الاقتصادية والسياسية ،وان كان قد تجاوز ماركس من خلال دعوته الى التفاعل والعلاقات الاجتماعية التي أهملها من خلال اهتمامه بالجوانب المادية للعمل حيث اعتبر الإنسان في نضره آلة.

موقف هابرماس من النظرية النقدية حيث قام بنقد بعض العناصر التي تمثل هذه النظرية مثل نقد التقنية والنزعة التكنوقراطية وكذلك نقد الوضعية والنزعة العلمية.

الفصل الثاني

العقلانية والتقنية

عند هابرماس

المبحث الأول: مفهوم العقلانية

المبحث الثاني: المعرفة والتقنية

المبحث الثالث: هابرماس والقول الفلسفي للحداثة

المبحث الأول: مفهوم العقلانية

المطلب الأول : تعريف العقلانية Ratioalité* :

أعطى فلاسفة العصر الحديث الأهمية والأولوية للعقل ،إذ أنه مرجع لكل معرفة ومنطلق لكل فكرة ، إذن العقلانية مشتقة من العقل ،هذا الأخير يعرف أنه ملكة الفهم والاستدلال الصحيح والاستنتاج وإدراك العلاقات الذهنية[1]، وتعتبر العقلانية المظهر الأساسي لفكر الحداثة الغربية التي كانت بدايتها مع **ديكارت*** رائد العقلانية وفي الأوساط الفكرية بفضل مباحث **فتجندشتاين***.

فالعقلانية كلمة مطاطة تتفاوت معانيها بين الناس، لكن إحدى السمات المميزة للبشر هي أنهم يمتلكون ملكات عقلانية بغض النظر عما نعنيه بتلك الكلمة ،ولذا فإن أي مجتمع يمنع الناس من تطوير تلك الملكات واستخدامها يمكن أن ينتقد ويقال عنه أن المجتمع غير عقلاني بالفعل[2]، فالعقلانية ذات مجال واسع فهي لا تقترن بمجال علمي مضبوط ولا بفلسفة محددة أو مرحلة تاريخية معينة حيث يظهر من كل ذلك أن العقلانية منذ الأصل لم تكن مذهبا واحدا.

فالعقلانية هي مفتاح الحداثة ،إذ بالعقل يحدد ذاته ويبرز وجوده من خلال أفكاره، فقد أصبح العلم والعقل الغربيين سلاح المجتمع العقلاني الغربي في نقده للأفكار والتصورات غير الغربية التي توصف عادة أنها أفكار لا معقولة ميتافيزيقية ودينية، وبهذا نصبت العقلانية العلمية الغربية نفسها عقلانية كونية عالمية، تلغي الخصوصيات التاريخية والتصورات العقلية إن العقلانية قامت بعقلنة جميع المجالات لهذا كانت مفتاح الحداثة لأن العقل هو الأداة

---

*- **لوفيديغ فيتغشتاين Pour Ovidik Vtjgnstein (1889–1951)**: واحد أكبر فلاسفة القرن العشرين ولد في فينا بالنمسا ودرس في انجلترا وعمل بالتدريس هناك وقد حضي بالتقدير بفضل كتابه رسالة منطقية فلسفية، وتحقيقات فلسفية، عمل في المقام الأول في أسس المنطق والفلسفة الرياضية، اعتقد فيتغشتاين أن معظم المشاكل الفلسفية تقع بسبب اعتقاد الفلاسفة أن معظم الكلمات أسماء، كان لأفكاره أثرا كبيرا على كل من الوضعانية المنطقية وفلسفة التحليل، أحدثت كتاباته ثورة في الفلسفة ما بعد العربين، وغم أسلوبه النيتشوي المربك فقد غير وجهت التفكير الفلسفي وطرق التعامل مع المسائل الفكرية، وقد تميز بعدة أفكار منها الألعاب اللغوية.

*- **العقلانية:** تعني وجهة النظر العقلانية أنه أثناء المحاورة النقاشية يسعى الطرف إلى توضيح الأمر أكثر مما كان عيه قبلا ويمكن لكلاهما أن يتعلمان من الأخر، فالمسألة ليست مسألة الاقرار بمن هو على حق، أو من يقترب من الصدق بصورة أكبر، **ينظر:** علي عبود المحمداوي، الفلسفة السياسية المعاصرة من الشموليات إلى السرديات الصغرى، ينظر: إبن النديم للنشر والتوزيع، الثقافة ناشرون، دار الروافد للثقافة ناشرون، ط1، 2012، ص 147.

[1] – كميل الحاج الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة لبنان الناشرون ، لبنان ،ط1 ، 2000، ص354

*- **رينيه ديكارت** 1596-1650)(rené descartes فيلسوف ورياضي وفيزيائي فرنسي يلقب بأبو الفلسفة الحديث، وكثيرا من الأطروحات الفلسفية التي جاءت بعده هي انعطاسات لأطروحاته والتي مازالت تدرس حتى اليوم، خصوصا كتاب تأملات في الفلسفية الأولى 1641 الذي مازال يشكل النص القياسي لمعظم كليات الفلسفة، كما أن لديكارت تأثير واضح في علم الرياضيات، فقد اخترع نظاما رياضيا سمي باسمه هو نظام الإحداثيات الديكارتية، الذي شكل النظرة الأولى للهندسة التحليلية، وديكارت هو الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن السابع عشر من أهم مؤلفاته مقال عن المنهج 1637، علم الهندسة 1637، تأملات في الفلسفية الأولى 1641.

[2] – ايان كريب ،النظرية الاجتماعية من بارسونز لهابرماس ،ترجمة محمد حسين غلوم،ص 265

التي تحرر الإنسان من جميع السلطات بواسطة العقل يصل الإنسان للمعرفة وتحصيل اليقين والصدق حيث يقول أرسطو: "أعني بالعقل ما تفكر به النفس وتعقل المعاني"[1]، فالعقل هو ميزة الكائن العاقل فهو حسب ديكارت اعل قسمة بين الناس ،فبه يتميز الإنسان عن غيره من الناس فالحداثة أولت الاهتمام الكبير للعقل فهو أصبح ما يميز الفكر الغربي فقد أولو الاهتمام وبالعقل لدرجة التقديس.

يطلق لفظ العقلنة كما تشير إلى ذلك المعاجم الفلسفية على الاتجاهات الفلسفية التي ارتقت بالعقل ratio إلى المستوى المبدأ، ويعتبر مؤرخو الفلسفة عموما أن العقلانية قد نشأت بالغرب مع ديكارت Descartes **سبينوزا** Spinoza **وليبنتز*** Leibniz في القنين17 ،18 وكان سر النجاح الفلسفة ذاتها وكانت الرياضيات نموذج العلم العقلاني[2]، إن التحدث عن العقلانية بصرف الذهن بصورة تلقائية إلى العقلانية الحديثة مع ديكارت فقد ساد الحديث لمدة العقود عن الوجود عقلانية واحدة أصبح الحديث عن العقلانيات مألوف في الأوساط الفكرية بفضل مباحث فتجنشتاين Vittgenstein وقد أدى تعدد المذاهب العقلانية لتطوير أدوات اجرائية جديدة لفهم نظرية المعرفة.

كما نجد "**كارل بوبر**"** يعني بالعقلانية الحديث عن ميزة الإنسان في جوهرة العقلي المحض فيقول : ما أعنيه عن العقل والعقلانية ليس سوى الاقتناع بأننا نستطيع التعلم عن طريق نقد أخطائنا ،بصفة خاصة نقد الغير لنا ونقدنا لأنفسنا فالعقلاني هو ببساطة إنسان يتعلم أكثر من إنسان متمسك بالحق إنسان مستعد للتعلم من الآخرين، لا بمعنى التسليم ببساطة برأي غريب ولكن بمعنى أن يسمح الآخرين ينقد أرائه أي ينتقد أراء الآخرين

[1] –أرسطر، كتاب النفس، ترجمة أحمد فؤاد الاهواني، راجعه عن اليونان جرج شحاته قنواتي ،عيسى البابلي الحلبي، مكتبة النهضة ، القاهرة، مصر،ط2 1949، ص108.

*– غوتفريد لايبنتز (Gottfried Wilhelm Leibniz 1646-1716) هو فيلسوف وعالم طبيعة وعالم رياضيات ودبلوماسي ومكتبي ومحامي الماني الجنسية يشتغل ليبنتز موقعا هاما في تاريخ الرياضيات وتاريخ الفلسفة، أسس لايبنتز عالم التفاضل والتكامل الرياضياتي بشكل مستقل عن إسحاق نيوتن كما أن رموزه الرياضية مازالت تستخدم بشكل شائع منذ تم نشرها والتعريف بها، قوانينه تلك فيها قانون الاستمرارية، كما كانت له مساهمة في علم الفيزياء، ألف العديد من الكتب في الفلسفة والقانون والسياسة، الأخلاق وكنت منشوراته موزعة بين دوريات ورسائل ومخطوطات واعتبر أيضا من اعمدة الفلسفة العقلانية.

**– كارل بوبر (karl popper 1902-1994) فيلسوف نمساوي انجليزي متخصص في فلسفة العلوم عمل مدرسا في كلية لندن للاقتصاد، يعتبر كارل بوبر واحد من أهم المؤلفين في فلسفة العلم في القرن العشرين، كما كتب بشكل موسع عن الفلسفة الاجتماعية والسياسية، درس الرياضيات والتاريخ وعلم النفس، بدأ كتابة أو أعماله الذي تمثل في صورة مختصرة بعنوان منطق البحث 1934، وفي طبعة كاملة عام 1979 بعنوان المشكلتان الرئيسيتان في النظرية المعرفية 1937 ، وكذلك كتاب المجتمع المفتوح وأعدائه 1945، والذي اكتسب من خلاله شهرة عالمية، أهم سمة تميزت بها أعماله الفلسفية هي البحث عن معيار الصدق للعقلانية العلمية ما بين 1949-1969، يرى أن فلسفة العلم هي منطق قابلية المستمرة لتقدم بحيث تكون قواعد البحث العلمي قواعد مباراة هي من حيث المبدأ بلا نهاية.

[2] – عز العرب لحكيم بناني، المعرفة نحو عقلانيات اجرائية ،سلسلة عالم الفكر العدد 2، المجلد41،ديسمبر، الكويت، 2012، ص58.

كما تؤكد عليه هنا هو فكرة النقد أو بالتحديد المناقشة النقدية فالمناقشة النقدية [1]، هنا هي الروح العقلانية في النضج الأفكار فمسألة الأخذ والعطاء في أساس المناقشة هي دلالة الناحية الإنسانية في مجال العقلنة ،ومنه يرى "بوبر "أن العقلاني يعرف أن وجهة النظر العقلانية النقدية يمكن إلا تكون سوى نتيجة انتقاد الآخرين له.

كما أن هابرماس منذ كتابه "**التقنية والعلم كاديولوجيا**" وهو منشغل بنظرية العقلنة عند فيبر، وذلك من منطلق أن ماكس فيبر لم يستطيع القيام بتأطير نظري مقنع لعملية العقلنة في المجتمع الحديث حيث يرى أن العقلانية ليست مثالا نقتصه من وسط السماء بل هو موجود في لغتنا ذاتها خاصتها الأهم وهي تلك التي يرتكز عليها هابرماس مع أنصار ما بعد الحداثة[2]، يرى هابرماس أن العقلانية لعبت دور مهم في المجتمع الرأسمالي لذلك أن ماكس فيبر قدم مفهوم العقلانية قصد به تحديد شكل النشاط الاقتصادي.

فقد أرادها هابرماس مفهوما للعقل لا يكون انهزاميا ضعيفا بالقدر الذي يجعله يحسب حساب كل ما يوجه له من نقد، وقويا بما يكفي كي تتوصل نظرية المجتمع إلى إنقاذ الظواهر التي تحمل إشارة الحداثة والتي لا يمكن التخلي عنها دون أن ننفي أنفسنا كنتيجة لهذه الحداثة[3]أرادها هابرماس هنا أن يعطي مفهوما مميزا للعقل يكون ذات قوة أمام كل الانتقادات ليتوصل لإنقاذ الظواهر من شارة الحداثة.

يذهب هربرت ماركوز حسب ما ذكره هابرماس أن: ما دعاه ماكس فيبر عقلنة" ليس عقلانية بالمعنى الصحيح، بل إن شكلا من السيطرة السياسية غير المعترف بها يتحقق باسم هذه العقلنة"[4].

يرى ماركوز أن العقلنة ما هي إلا غطاء لسيطرة السياسية حيث يرى هابرماس بأن زيادة تدخل الدولة يؤدي لظهور أزمة العقلانية وهي في نظره أزمة في صميم الرأسمالي .

لقد كانت النظرية العقلانية عند ماكس فيبر مرجعا أساسيا في مشروع هابرماس الفلسفي حيث قسم ماكس فيبر النشاط العقلي إلى ثلاث مجالات: مجال الواقعية الموضوعية العلمية أو العلم الوضعي، مجال المعايير والمشروعية أو المشروعية الأخلاقية، مجال القيم والدلالات الرمزية، أعاد هابرماس النظر في هذه المجالات (العلم الأخلاق، الفن) التي فصلها فيبر عن بعضها[5]، من خلال نظرية العقلانية عند ماكس فيبر أسس هابرماس

[1] – علي عبود المحمداوي، فلسفة السياسية المعاصرة، من الشموليات الى السرديات الصغرى، ابن النديم للنشر والتوزيع ،دار الروافد الثقافية ناشرون، ط1، 2012، ص146.

[2] –يورغن هابرماس، العقلانية، العلم والتقنية كإديولوجيا، ترجمة حسن الصقر، منشورات الجمل، ألمانيا،2003،ص48.

[3] – أبو النور حمدي أبو النور حسن، يوزغن هابرماس، الأخلاق والتواصل ، التنوير لطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2012، ص13

[4] – نفس المرجع، ص44.

[5] – عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشأة المعارف جلال حزي وشركاء البلد ،2002،ص ص 92،93.

العقلانية بحيث يجمع بين هذه البناءات العقلانية ويدمجها بعضها مع بعض لكي تتعاون لإحداث نوع من الاستقرار.

وقد حدد هابرماس مفهوم العقلانية بقوله: "إن ما نسميه العقلانية هو أولا الاستعداد الذي نبرهن عليه ذوات قادرة على الكلام والعمل وعلى اكتساب وتطبيق معرفة قابلة للخطأ[1].

العقلانية بهذا الشكل هي استعداد ذواتنا في القدرة على الكلام والعمل واكتساب المعرفة.

إما العقلانية الجديدة التي تتألف خلال القرن18 هي بداية الحداثة الفعلية، ليس فقط في طريقة التفكير، وإنما في نمط الحياة والمعيشة والذوق العام وأسلوب التعامل مع القضايا والمشاكل ولعل أن المتأمل في الواقع القرن18 بوجه خاص في فرنسا يدرك أنه عصر التحولات الجذرية نحو الحداثة العصرية بكل صورها[2].

إن مفهوم العقلانية يتجاوز فكرة العقلانية الغائية التي هي اختيار الوسائل بناء على الأهداف بالمعنى الذي نفيه هابرماس[3]، نجد هابرماس نفى فكرة العقلانية الغائية التي تبحث في الهداف والغاية عن الأعمال.

وفيما يخص العقلانية أطلق هابرماس مفهوم العقل حيث أن مصطلح الأداتية عند هابرماس يحمل مضمونين هما أنه يمثل أسلوب لرؤية العالم والمضمون الآخر يمثل الأسلوب لرؤية المعرفة النظرية[4]، هذا المصطلح يمثل الأسلوب الذي يتخذه الإنسان في رؤية العالم للوصول المعرفة النظرية حيث يعد العقل الأداتي أو العقلانية النقدية بحق من المصطلحات الأساسية والجوهرية النقدية فقد عند هوركهايمر من خلال كتابه" جدل التنوير"، وظهرت مع ماركيوز من خلال مؤلفه "الإنسان والبعد الواحد"، والعقل الأداتي لدى هؤلاء هو منطق التفكير وأسلوب في رؤية العالم[5]، يعتبر الأداتي أو العقلانية النقدية مصطلح جوهري لأنه ليس أسلوب فقط للوصول للمعرفة بل لرؤية العالم.

ويؤكد هابرماس أيضا أن مفهوم العقل الأداتي لدى ماركيوز الذي يتفق مع مفهوم العقل التقني أو الأداتي هو ذاته الإيديولوجيا، فالتقنية هي السيطرة ذاتها على الطبيعة والإنسان وهي مشروع تاريخي اجتماعي تنعكس فيه

[1]– عطيات ابو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين ، ص99.

[2] – محمد علي الكردي، من الوجودية الى التفكيكية ،دراسات في الفكر لفلسفي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ،1998،ص229.

[3]–مطاع صفدي العرب والفكر العالمي، مجلة النصوص الفكرية والإبداعية والنقدية ،بيروت، العددين 23،24، 2008 ،ص15.

[4]– هابرماس، العلم والتقنية كإديولوجيا ، ص47.

[5]– أبو النور حمدي أبو النور حسن، أخلاق التواصل، ص46

ما يريد المجتمع والمصالح المسيطرة أن تفعله بالبشر والأشياء[1]، فالمقصود هنا هو أن التقنية هي السيطرة على الطبيعة الإنسان فهي عبارة عن وهم إيديولوجي.

فالعقلانية قد ارتبطت بالسيطرة وهذا من خلال بعدين أساسيين هما :

البعد الأول كما قلنا يتمثل في السيطرة على الطبيعة أما الثاني فيتمثل في السيطرة على الإنسان وهما أمران مرتبطان تاريخيا، على حد تعبير هوركهايمر الذي يرى بأن ذلك يعتبر تاريخيا نشاط الإنسان للسيطرة على الطبيعة هو أيضا تاريخ سيطرة الإنسان على الإنسان[2]، فان منطق السيطرة كان في البداية مشروع موجه لسيطرة الطبيعة قصد التحكم فيها لكن تم تعميمه على الإنسان أيضا ولكن هذه المرة قصد السيطرة عليه وبذلك أصبحت المعرفة العلمية أداة لتحقيق الأغراض بدلا أن تكون لتحرير الإنسان وترتبط العقلنة المتقدمة المجتمع التقدم العلمي والتقني[3].

يحاول هابرماس تأسيس شروط العقلانية بعيدا عن كل تصور ميتافيزيقي لعقل خالص أو وعي مطلق باعتبار أن لا أحد يمتلك الحقيقة المطلقة أو معرفة جوهر الأشياء لذلك يجنح لنقد شديد لفكرة الذات باعتبارها مالكة الوعي والإرادة ويستعيض عنها بفكرة التذاوت بما يقابلها من تفاعل "أنا-أنت"[4].

حاول هابرماس تجديد أو تغيير للعقلانية من خلال وضع الشروط لها متمثلة في أنها تكون قائمة على التفاعل أنا وأنت وذلك من خلال الحوار والنقاش العقلاني.

كما اعتبر هابرماس أن العقلانية الأداتية اختزنت دلالة السيطرة والهيمنة وهذا ما دفعه إلى إيجاد بديل لأن العقلانية الأداتية رسخت عقيدة الذات بقدرتها على توفير السعادة الموهومة التي جعلت الفرد تابع سخيف لإرادة الآلة، حيث نقلت الإنسان منقل :" مصدرا اليقين من الذات المفكرة إلى الذات المدركة حسيا، وفي هذا المجال تمدنا الملاحظة العلمية باليقين وتتراجع الوظائف التلقائية للفكر"[5]،حسب هابرماس تعتبر العقلانية الأداتية أداة للسيطرة والهيمنة لأنها رسخت عقيدة الذات من خلال توفير السعادة الوهمية التي جعلت الفرد تابع للآلة لهذا رأى بوظيفة التفاعل والحوار كبديل، لقد أراد أن يعيد تشكل النظرية عن طريق إعادة بناه العقلانية الاجتماعية فقدم ما

[1]- هابرماس، العلم والتقنية كإديولوجيا ،ص48.

[2]- كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فانكفولرت من ماكس هوركهايمر الى أكسل هونيث، الدار العربية للعلوم ناشرون دار الأمان، الرباط، ط1،2010،ص68.

[3]- هابرماس، العلم والتقنية كإديولوجيا ،ص 43.

[4]- حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، ص 124.

[5]- علي عبود الحمداوي ،مدرسة فرانكفورت النقدية، جدل التحرر والتواصل والاعتراف، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية ،بيروت، لبنان، لبنان، ط1، 2012،ص224.

يطلق عليه: "العقلانية التواصلية في مقابل العقلانية الأداتية التي هاجمها الجيل الأول عن أصحاب النظرية النقدية [1]، لهذا وجد هابرماس في العقل التواصلي الوسيلة القادرة على إنقاذها من الانحراف والسقوط في التطرق والتعصب الأعمى الذي مرده عند الأوربيين هو عدم الثقة بالقادمين الجدد والأصل في ذلك يعود إلى انعدام الثقة بالذات، وانعدام الثقة هذا يرجع إلى التجارب التي مر بها الأوربيين مع انفسهم[2]، أخذها هابرماس حل للعقلانية الأداتية لسيطرة العقلانية التواصلية كحل لتمركز ذلك ما أسماه بالعقل التواصلي:" الذي يقوم على تنشيط التواصل وقيمة الإنسان في المجتمع فالعقل التواصلي هو المخرج من هيمنة العقل الأداتي"[3]، فالعقل التواصلي كان بديل العقلانية الأداتية لأن العقل التواصلي أي ما أسماه هابرماس عقلنة المجتمع وعقلنة الفعل وذلك بتحقيق التواصل وتفعيل العلاقات.

سمات العقل الأداتي:

حاول هابرماس أن يستخلص سمات أو خصائص العقل الأداتي وطريقته الاختزالية التي يمارسها بحق الطبيعة والإنسان لأنه في نظره لا تهتم بالخصوصية ويحول تفتيت الواقع إلى أجزاء غير مترابطة ومن هذه الخصائص ما يلي:

- استطاع هابرماس أن يستخلص السمات العامة للعقل الأداتي إستراتيجية الاختزال و النظرة التماثلية للواقع وعدم اهتمامه بالخصوصية، فالعقل الأداتي ينظر الإنسان باعتباره جزء يشبه الأجزاء الطبيعية والمادية[4]، العقل الأداتي صفته الجوهرية تنصب في النظرة للواقع.

-إن العقل الأداتي نوع من التفكير من خلاله يستبعد القرارات الأخلاقية والسياسية وهو بذلك عقل سيء، عقل ناظم لأفعال الإنسان في إطار انجاز غاية عملية محددة[5].

-العقال الأداتي هو نتاج انشطار واغتصاب أي إنتاج سيرورة اجتماعية، فقد وصفها أدورنو وهوركيمر وفوكو بأنها سيرورة الذاتية بوصفها تتجاوز قواها و تتشيأ [6].

[1] – علي عبود الحمداوي ،مدرسة فرانكفورت النقدية، جدل التحرر والتواصل والاعتراف، ص 224.

[2] -Habermas: Vérité et justification, tradpar, j.rainer, rochlitz, ed Gollimard, paris, 2001, p.259.

[3]– ابو النور حمدي ابو النور الحسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل ،ص134.

[4] – ابو النور حمدي ابو النور الحسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل ،ص49.

[5]– المرجع نفسه، ص47

[6]– هابرماس، القول الفلسفي للحداثة ،ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ،1990،ص ص482-485.

-العقلانية الأداتية أصبحت تهدد الوجود الإنساني بما تقدره من اغتراب وتشوه وضياع الفرد، وفقدان الطابع الإنساني في المجتمعات الغربية المعاصرة[1].

- نستنتج أن مصطلح الأداتية يحمل مضمونين احدهما انه يمثل أسلوب لرؤية العالم والمضمون الأخر انه يمثل أسلوب لرؤية النظرية[2]، فالعقل الأداتي له صلة بالأغراض العلمية من خلال مجال المعرفة.

المطلب الثاني: العقلانية والبرهنة

إن اهتمام هابرماس بالمعنى والحقيقة لا يخرج عن نزوعه نحو تحديد جديد لمفهوم العقل يتخلى عن ادعاءات الفكر الميتافيزيقي، ويبرز أهمية الجانب التكاملي Illocutoire للخطاب الجدلي البرهاني، فالعقل يمتلك قدرة هائلة على التبرير ومراجعة أساسياته وأحكامه[3]،انشغل هايرماس بكل ما يخص العقل وهذا واضح من خلال البرهان لأنه العقل له القدرة على التبرير.

ويعتبر هابرماس أنه في سياق البرهنة يمكن أن يعتمد على التجربة، ولكن لكي نعتمد منهجيا على التجربة في حالة التجريب Expérimentation مثلا :فإننا نضطر للرجوع إلى تأويلات لا يمكن أن تتضح صحتها داخل المناقشة[4]. اعتبر هابرماس أن البرهنة يمكن أن تعتمد على التجربة من خلال الحجج و البراهين فالقدرة على على البرهنة تدرك معنى التواصل إذ أن البراهين والحجج هي أساس القناع بالتالي تحفز الإنسان عقلانيا على المناقشة.

المطلب الثالث: العقلانية والهرمنوتيقا

إن هابرماس من أجل دحض الادعاءات الكونية لتأويلية حاول أن يثبت أن الهرمنوتيقا، نفسها غير ممكنة إلا إذا توفرت لحظة التأمل الذاتي الذي يشكل المنهج الخاص لمجموعة ثالثة من الاختصاصات العقلانية المتمثلة في العلوم النقدية [5]، يرى هابرماّس أن الهرمينوطيقا غير ممكنة إلا إذا توفرت لحظة التأمل الذاتي الذي اعتبره منهج خاص في العقلانية للعلوم النقدية.

[1] -كمال بومنير، النظرية النقدية المدرسة فرانكفورت ،مرجع سابق ،ص69.

[2]- الكتور حمدي ابو النور حسن ، الاخلاق والتواصل،ص134.

[3]- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، ص76.

[4] - نفس المرجع، ص 84.

[5]- محمد نور الدين أفاية،ا لحداثة والتواصل، ص64.

أكد هابرماس أن أهمية التأويل تظهر من خلال أن جاء في فترة اشتد فيها النقاش حول العلوم الاجتماعية من حيث أهميتها ومكانتها وعلاقتها بالعلوم الدقيقة وغير ذلك بأنه أضاف إسهامات قيمة لهذا النقاش بأنه تبنى اتجاها جديدا هو ما يسميه لغة الملاحظة[1]. أكد هابرماس على أهمية التأويل في مجال النقاش حيث نجد أنه انتقد غادامير Gadamer في أن **الهيرمونطيقا*** عنده الا مثالية لغوية.

وبناءا على ذلك يؤكد هابرماس بأنه لابد للنظرية الهيرمنوطيقية النقدية أن تعمل على ربط الفهم للتقاليد والتراث بالحوار العقلاني غير المشوه، وأهم ما يميزه هو التحرر من القيود ومن أمراض التواصل المحرف، وهنا يشير هابرماس إلى إمكانية التواصل غير المقيد[2]،أكد هابرماس أنه لا بد من النظرية الهيرمينوطيقية النقدية لأنها تعمل على ربط الفهم بالحوار العقلاني.

المطلب الرابع: العقلانية والتواصل

التواصل: إن التواصل فيما يرى جان كازانوف Jean cazeneuve هو جعل الشيء مشتركا Commum أي الانتقال من الحالة الفردية إلى الحالة الجماعية عبر الفعل[3]، فالتواصل هو نشاط مشترك لأن من خلاله يتم الآراء والأشياء.

إن هابرماس يسعى إلى إخراج العقل من العقلانية الأداتية إلى الأنوار العقلانية التواصلية وهذا لا يكون إلا عن طريق تأطير العقل بمقاييس العقلنة التي ترتكز على الحجة والبرهان الأقوى والأفضل و الاعتراف المتبادل بين المشاركين في النشاط التواصلي إنه "عقل تواصلي يتجاوز الذات ليكون نسيجا من الذوات المتواصلة التي تتجاوز ذاتيتها[4]، وتتخلى عن أنانيتها المفرطة. فالعلانية التواصلية تمثل مفهوما جديد للعقلانية وهذا تتجاوز العقلانية الأداتية كما أن العقل التواصلي ينظم النشاط فهو عقل يهدف لتحقيق المساواة فالعقلانية أساس التواصل عند

[1]–ابو النور حمدي ابو الحسن، الاخلاق والتواصل ،ص172.

*– الهيرومنطيقا أو علم التأويل أو التفسيرية هي المدرسة الفلسفية التي تشير لتطور دراسة نظريات تفسير وفن دراسة وفهم النصوص في فقه اللغة واللاهوت والنقد الأدبي، ويستخدم مصطلح هيرومنطيقا في الدراسات الدينية للدلالة على دراسة وتفسير النصوص الدينية، وفي الفلسفة هي المبدأ المثالي الذي من خلاله تكون الحقائق الاجتماعية رموز أو نصوص والتي بدورها يجب أن يتم تفسيرها بدلا من وصفها وإضاحها، وتحمل هذه الكلمة الكثير من التراث الدلالي حيث تشير كلمة hermenlutix في علم الفلسفة إلى الفرع الذي يدرس مبادئ التأويل والإدراك ويعود أصل الهرومنتيكية إلى الفعل اليونان hermencien الذي يعني يفسر أو يعلل.

[2]– ابو النور حمدي ابو الحسن، الاخلاق والتواصل ، ص 174.

[3]- يورغن هابرماس، إيتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، ترجمة وتقديم عمر مهيبل، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 08.

[4]– هابرماس القول الفلسفي للحداثة، مصدر سابق،ص452.

هابرماس، ولا يمكن تصور تواصل خارج نطاق العقلانية وعليه فإن التواصلية ماهي إلا إعادة استكشاف مسار العقلانية(....)، والتواصلية ليست في النهاية إلا استراتيجيات تلك المدارس الفلسفية على طريق تحديد لإستراتيجية العقلانية ذاتها لأن العقلانية هي جهد التواصلية لتحقيق ذاتها [1]، فالتواصل عند هابرماس هو استكشاف مسار العقلانية وهي الجهد الذي تحقق به التواصلية ذاتها.

فقد حاول هابرماس بعث مشروع من جديد يخص العقلانية من خلال تأكيده على وحدة العقل خاصة وأن هذه الوحدة قد وضعت موضوع الشك والنقد باسم التنوع والكثرة والاختلاف ورأى أن هذه الوحدة تكمن في ممارسة التواصلية [2]، نرى إن هابرماس أكد على وحدة العقل التي تكمل في ممارسة التواصلية المؤسسة على أخلاقيات النقاش والتواصل مع الآخر.

وهو ما يسميه فتحي التريكي بالتأنس اي العيش معا، ذلك وعيا من الإنسان بأن سعادة البشر تكمن في تواصلهم الحتمي وتوافقهم[3]، يعني من هذا إن مبدأ إعادة بناء العقل وفق النموذج التواصلي يؤسس مبدأ أخلاقي وذلك من خلال أهمية الممارسات التواصلية المؤسسة على أساس المناقشة.

دافع هابرماس عن العقلانية التواصلية حيث نجده أنه في كتابه Iheiheory of communication sition(1981)، يجعل هابرماس عن مفهوم العقلانية التواصلية وسيلة للتجديد التفكير بالنظرية النقدية نفسها[4].

لقد رافق إعادة بناء النظرية النقدية عند هابرماس مع الدفاع عن العقلانية التواصلية التي أقر بأنها الوسيلة التي تجدد التفكير في النظرية النقدية نفسها[5]، اعتبر هابرماس العقلانية التواصلية وسيلة لتجديد التفكير بالنظرية النقدية أي أنها تجدد الفكر.

لأن العقلانية التواصلية تسعى إلى ضبط علاقة الفرد بالأخر وإخضاع العلاقات الاجتماعية والسياسة القائمة داخل المجتمع لأخلاقيات المناقشة ،فالحوار القائم على المساواة ومن دون ضغط أوإجراء يعد البداية الأولى

[1]- مطاع صدفي ،نقد العقل الغربي ، الحداثة وما بعد الحداثة ،مركز النماء القومي العربي، بيروت،1990،ص207.

[2]- فتحي التريكي عبد الوهاب المسيري ،الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر سوريا ،ط1 ،2003،ص224.

[3]- نفس المرجع، ص225.

[4]- حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية ،ص7.

[5]- المرجع نفسه،ص120.

لحمل المجتمع بكافة طبقاته على جمعته Sociabilité (التنشئة الاجتماعية) تحقق عقد اجتماعي يحتكم به المجتمع[1].

لذلك يدعو هابرماس إلى الحد من العقلانية الوظيفية التي تمارس التقنية، والتي أطبقت سيطرتها على الاقتصاد وتحكمت بيروقراطيتها في الدولة، لكي يعود الاقتصاد والدولة وضيفتها الطبيعية إذ لا يمكن أن يؤدي الاقتصاد والدولة مهامهما إلا باعتبارهما نسقين متداخلين ،فلا يجوز من هذا المطلق أن يحتكر السوق وحدة مهمة لإعادة التوازن[2]،أراد هابرماس تغيير الوضع القائم على السيطرة تقديم البديل الممكن للعقلانية الأداتية التي أحكمت قبضتها على الإنسان، لقد أقام بإعادة التأسيس النظرية النقدية على ما يسميه العقلانية التواصلية المرتبطة بعملية التنشئة الاجتماعية التي لا تتحقق إلا بواسطة التوافق والتفاهم [3]، فالعقلانية الأداتية في نظر هابرماس وبعض أقطاب النظرية النقدية تمثل السيطرة وتستلزم المستوى الشكلي في الإجراءات لأن عرضها الأساسي عملي ونفعي وهذا لا يخدم في نهاية الأمر سوى مشروع السيطرة لأنها أضعفت أواصر العلاقات الاجتماعية.

حيث يرى أن المعيارية التي تتبلور نفعها في إطار العقلانية التواصلية هي الكفيلة بوأد الهوة السحيقة التي تفصل بين عالمنا والاتساق.

إن هابرماس لا يتجاوز العقلانية الأداتية بإلغائها نهائيا لأن هدفه هو ربط تصورات العقل الخاصة بالتصور والتواصل في إطار النظري للبحث.

إن التصور للعقلانية التواصلية تعود جذوره إلى جورج هربرت ميد G.H .Mead التي تعود إليه أبوة تصدر العقل التواصلي الذي حاول تأسيس مشروع مجموعة مثالية للتواصل مؤسسة على علاقات بين شخصية مثالية ، وقد اعتمد مشروعا تحرريا يهدف بالدرجة الأولى إلى إقامة الصلح بين العقلانية التواصلية والنظام الاقتصادي الليبيرالي الرأسمالي، وذلك أن هدفه كان يقتصر على غرس أساسيات التواصل في المجتمع [4]، إن جذور العقلانية التواصلية ترجع إلى جورج هربرت ميد طبقا لمحاولته على تأسيس مشروع وفق مثالية تواصلية تقوم على علاقات مثالية.

[1]- حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية ، ص7.

[2]- كمال بومنير، النظرية النقدية ،مدرسة فرانكفورت ،ص118.

[3]- حسن مصدق بورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت،ص110.

[4]- فوزية شراد مذكرة فلسفة اللغة عند هابرماس ،رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في الفلسفة جامعة منتوري، قسنطينة ،2009، 2010 ، ص162.

يهدف هابرماس من العقلانية التواصلية إلى وضع نظرية نقدية لمجتمع يقوم على أساس عقلانية: "أريد أن أبين أنه من الممكن تطوير نظرية الحداثة باستخدام مفاهيم نظرية تواصلية تملك دقة تحليلية تحتاجها الظاهرة الاجتماعية المرضية التي يسميها التراث الماركسي: التشيؤ"[1].

يرى هابرماس أنه من خلال العقلانية التواصلية يمكنه أن يطور نظرية الحداثة التي هي المشروع الذي ميزه وذلك من خلال المفاهيم.

حيث يتضمن مفهوم العقلانية التواصلية كل ما يتعلق بالنشاط العقلي ولما كان هذا النشاط العقلي يدور حول المعرفة وتطبيقاتها فقد قسمه هابرماس إلى نوعين: نشاط عقلي معرفي هو يحقق النفع ،نشاط عقلي تواصلي وتمارسه ذوات قادرة على الكلام والفعل[2]، من خلال هذين النوعين من النشاط العقلي يصوغ هابرماس مفهوم لعقلانية تواصلية.

بالنسبة لهابرماس تأرجح النشاط الإنساني على مسار التاريخ بين العقلانية الأداتية والتواصلية،فهو يفهمه كعمل Travail وتفاعل Interaction في الوقت نفسه ،ويعيب على ماركس فهم الممارسات الإنسانية كعمل فقط[3].

المبحث الثاني : المعرفة والتقنية

المطلب الاول: المعرفة والمصلحة

يرجع الفضل إلى بيان المعرفة والمصلحة إلى هابرماس لأنه ميز بين المعرفة والمصلحة من خلال كتابه بهذا العنوان "المعرفة والمصلحة".

قام هابرماس بتحديد ثلاثة من العلوم :وهي العلوم التجريبية والتحليلية،والعلوم التاريخية والتفسيرية (الهيرومنطقية) ،علوم الفعل والسلوك المنهجية وهذه الأنماط يواجهها ثلاث أنماط من المصالح الموجهة فنجد العلوم التجريبية والتحليلية تناظر مصلحة معرفية تقنية، العلوم التاريخية تناظر مصلحة علمية أمام علوم الفعل والسلوك تتجه لتحقيق تحرير الانسان من القهر [4]، سعى هابرماس لتأسيس هذه الطريقة ليكتشف من خلالها مصالح كل علم من العلوم حيث أنه كان يميل إلى المصلحة التحريرية أن الهدف الذي يسعى إليه هابرماس من تأكيد ربط

[1]– عطيات ابو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، المرجع السابق،ص100.

[2] – عطيات ابو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، المرجع السابق ،ص101.

[3] – حسن مصدق، يورغن هابرماس النظرية النقدية التواصلية، ص133.

[4]– هابرماس ،المعرفة والمصلحة، ص ص ،16،17.

المعرفة بالمصلحة كما يقول أدورنو Adorno : هو التوصل في نهاية الأمر إلى تحقيق اتصال بين الأفراد يتم بدون قهر أو تحايل ومهمته المعرفة النقدية هو تمهيد لتحقيق هذه العلاقة بين البشر [1]، إن الهدف الذي يسعى إليه هابرماس من خلال نقد الربط الحاصل بين المعرفة و المصلحة هو تحقيق الاتصال بين الافراد بدون سلطة القهر حيث أن ما تتوخاه نظرية المعرفة هو الشك الجذري دون تزعم أن لها هدفا محضا وهي في الحقيقة تستند إلى وعي نقدي هو نتيجة سيرورة تكون كاملة وفق هذا المنطلق هي المستفيدة من مرحلة التأمل التي لا تعترف بها وبالتالي لا تسطيع عان تمنحها الشرعية[2].

إن أساس نظرية المعرفة هو استدعائها لوعي نقدي يكون ناتج عن سيرورة الحياة.

فالمعرفة ليست مجرد آلة لتلاؤم عضوية ما مع محيطها المبتذل، ولا فعل جوهري عقلي محظ بل بوصفها تأملا معزولا عن الحياة[3]، فالمعرفة هنا هي عبارة عن تأمل حر معزول عن الحياة التي تأثر فيها أي سلطات فهي لا تقوم على روابط ، فمفهوم التأمل الذاتي أطلقه فيشته بوصفه مفهوم العقل العائد إلى ذاته له اهمية نسقية بالنسبة إلى مقولة المصلحة التي تواجه المعرفة ،وعلى هذا الأساس فان المصلحة تسبق المعرفة كما أنها تحقق ذاتها بقوة معرفتها[4].

أكد هابرماس في كتبه المعرفة والمصلحة أنه يحاول القيام بـ: "اعادة بناء ما قبل تاريخ الوضعية الحديثة من منطلق القصد المنهجي في تحليل ارتباط المعرفة والمصلحة ،فأي واحد يتبع عملية تفكيك نظرية المعرفة التي حلت محلها نظرية العلم يمر عبر درجات مختلفة من الإهمال التفكير [5].

يؤكد هابرماس على أن ارتباط المعرفة بالمصلحة من خلال القيام بالبحث في هذا الارتباط سيكون الباحث قد أهمل التفكير حيث يعتبرها برماس أنه "يمكن توضيح الارتباط المعرفة بالمصلحة الذي تم اكتشافه بطريقة منهجية وحمايته من خطاء التأويل باللجوء إلى مفهوم مصلحة العقل الذي طوره كانط وخصوصا فخته"[6]، يرى هابرماس أنه هناك علاقة وارتباط المعرفة بالمصلحة وذلك من خلال العلوم والتقنية الجديدة

إن هابرماس سعى إلى تأسيس ابستمولوجيا نقدية لتحديد مجالات كل نوع من العلوم على حدة و اكتناه المصالح التي تحرك مختلف المعارف التي تنتهجها هذه العلوم سواء كانت مصالح تقنية أو عملية ذات طبيعة أداتيةأو

[1]- ابو النور حمدي ،الاخلاق و التواصل، ص52.

[2]- هابرماس، المعرفة والمصلحة، ص23.

[3]- هابرماس، المعرفة والمصلحة، ص231.

[4]- المصدر نفسه، ص245.

[5]- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، ص63.

[6]- المرجع نفسه ، ص68

تواصلية المهم أن لا يحصل خلط بين المستويات وأن لا يفرض نموذج واحد على جميع المجالات المعرفية الأخرى كما تفعل النزعة الوضعية[1].

إن هابرماس يميل إلى المصلحة التحررية التي يخولها النقد لتحديد مجالات كل العلوم سواء اكانت مصلحة تقنية وهي التي تميز بعد العمل ومصلحة عملية من خلال التفاعل ، حيث يرى دلتاي في ذلك خطر للمعرفة بالنسبة إلى عملية الهرمينوطيقا لذلك هو يضيف: غير أن الطريق إلى هذا التأثير يجب ان يسير عبر موضوعية المعرفة العلمية[2]، يريد دلتاي Dilthey تحرير الفهم الهرمينوطقي وعلاقته المصلحة المترسخة.

إن القدرة على التواصل تقضي الظهور المصلحة العملية المتمثلة في العلوم التاريخية التأويلية وهي معرفة تتجه إلى تحليل النصوص وتأويلها، تحددها مصلحة عملية تهدف لحفظ وتوسيع المجال الفهم الممكن بين الكائنات البشرية وتحسين عملية الاتصال، حيث ينصب اهتمام المصلحة العملية على التفاعل البشري[3]، فالتواصل يقضي إلى تأويل الأفعال التي نتعامل ونتواصل بها مع بعضنا البعض وطريقة فهمنا لبعضنا البعض ،وتهدف احدى أفكار هابرماس الأساسية إلى الكشف عن الوسيلة التي بموجبها تقوم البنى الاجتماعية بتشويه عملية التفاعل وتثير فيها الاضطراب و البلبلة ، إذ أن سوء الفهم الوارد بين البشر ويمكن خداعهم بشكل منظم [4]، ثم يظهر النوع الثالث والأخير من المعرفة المتمثل في العلوم والفلسفات التي يغلب عليها الطابع النقدي والمصلحة المرتبطة بهذا النوع هي التحرر من كل أشكال الاغتراب ومن العلوم التي تسعى إلى هذا الهدف نقد الأيديولوجيات والتحليل النفسي والنظرية النقدية ذاتها كلها علوم تسعى لكشف المصالح التي تشوه فعل التواصل وتبحث في الشروط اللازمة لإجماع لا يعوقه قهر والتحرر من أشكال السيطرة [5]، هذا النوع من المعرفة يسعى إلى تحقيق التواصل والتفاعل لا تشوهه المصالح ،فالرابط الذي يعتقده هابرماس بين المعرفة والمصلحة يمكنه من الاعتراض على نقل المناهج الطبيعية للحقل الخاص بالعلوم الإنسانية حيث أن هابرماس يرى انه حق الإنسان تحركه مصالح تقنية وعملية قائمة تحت مجهر مصلحة التحرر .

لم يكتفي هابرماس بالتمييز بين ثلاثة مصالح بل يحلل ما يجمع بين الآخرين ، إذ يفترض الفعل الاجتماعي تفاعلا تواصليا يحمل التواصل دون هيمنة أو تسلط ، فالمصلحة العملية والمصلحة التحررية وجهان لعملة واحدة ،

[1]- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، ،ص69.

[2]- هابرماس، نفس المصدر، ص212.

[3]- عطيات ابو السعود ،الحصاد الفلسفي القرن العشرين ،ص102-103.

[4] - أيان كريب ،النظرية الاجتماعية، ص284.

[5] -عطيات ابو السعود ، الحصاد الفلسفي القرن العشرين ،ص102.

والمصاهرة بينهما تعمل من داخل العلوم الاجتماعية ،مما يمكن الفلسفة الاجتماعية من توضيح وتحليل جملة هذه المدارات بإيجادها لحلول لقضايا المجتمع وفك الاحتقان الكامن فيه [1]، يرى هابرماس بأن التفاعل الاجتماعي ما هو إلا تواصليا وفي هذا الصدد عاد هابرماس إلى فيبر ليحاول استنباط عقلانية تواصلية تضبط الممارسات الأداتية التي أضعفت أواصر العلاقات الاجتماعية، حيث يرى لن المعيارية التي تتبلور صيغها في إطار العقلانية التواصلية هي الكفيلة بوأد الهوة السحيقة التي تفصل بين عالمنا والاتساق[2].

المطلب الثاني:

المعرفة والمصلحة وعوالم الفاعل:

تنشأ علاقة المعارف بالمصالح حسب هابرماس عبر موضوعات تتشكل في اطار ثلاث عوالم هي:

- ✓ العالم الموضوعي الطبيعي
- ✓ العالم الاجتماعي
- ✓ العالم الذاتي

1- في مقابل العالم الطبيعي ينتج مفهوم الفعل الأداتي والذي معه أصبح العقل الوحيد هو إنتاج السيطرة على العالم الخارجي وهو ينقسم إلى قسمين :التقني الأداتي والتجريبي[3] فالفعل الأداتي هو أساس السيطرة وهو ذات قسمين: الأداتي هو كسلوك سيطرة على الطبيعة وهو عكس الأداتي المتعلق بما تنتجه التقنية التي تطمح لسيطرة على العالم الخارجي

2- في المقابل العالم الاجتماعي :تتجلى فاعلتين عقلانيتين:

-فاعلة الاستراتيجية: هي الفاعلة تنافسية تهدف إلى القمع أفعال الآخرين، ومحاصرتها ،فهي قد تتجلى على شكل نقاشات صريحة يهدف المشاركة فيها التغلب على الأخر وذلك كله بهدف النجاح والسيطرة [4]هذه السيطرة والنجاحات قد تحصل داخل النسق الاجتماعي بما ينطوي عليه من أنظمة اقتصادية وسياسية.....

[1] -حسن مصدق، بورغن هابرماس النظرية النقدية التواصلية، ص76.

[2] -المرجع نفسه ،ص111.

[3] -يورغن هابرماس، المعرفة والمصلحة ،ص376.

[4] - علي عبود الحمداوي، الاشكالية السياسية للحداثة، ص149.

-**الفاعلة التواصلية** : يرى هابرماس أن الفاعلة الأداتية الإستراتيجية تجاوزت موضوعها وهو الطبيعي والهدف نحو النجاح و السيطرة لتحاول إن تهيمن على موضوع الإرادة الحرة الإنسان لذا يرى في مجال العقلانية بالفاعلة التواصلية أي المشاركة البذاتية في النقاش الذي يهدف نحو فهم السلوكيات المتحصلة بين الأفراد[1]، يرى هابرماس أنه مع هذه السيطرة العقلانية الهادفة لنجاح أنه يكون الفعل مشوه وغير صحيح.

3- **فاعلية التأمل والتحرر**:[2] يعطيها هبرماس صفة المعرفة التأملية حيث لا تشير نصوصه إلى فاعلية منفصلة لها ،إلا كنقد وتحرر ينتهجه هابرماس لإعادة هيبة الفلسفة.

المطلب الثالث : التقنية والعلم كإيديولوجية:

يؤكد هابرماس على أن هناك سلطة قاهرة في ظل التقنية من خلال سيطرة التقنية على الطبيعة ، ونتيجة المترتبة على أن النظام العلمي يصيح جزء من الطبيعة نفسها وتنحصر أهميته ودر العقل في التكيف مع البيئة[3]،اعتبر هابرماس أنه في ظل وجود التقتية هناك سلطة قاهرة هي السيطرة التي تؤدي إلى حلول النظام العلمي في أجزاء الطبيعة فالعقلانية التقنية هي السيطرة ،وسائل تقنية تسلب صفة الإنسانية عن الإنسان فالتقدم يحاول هدم فكرة الإنسان، العقل الأنواري هدفه إخراج الإنسان من هذا المأزق ويتحالف العقل والسلطة والنظام و الواقع بشكل عضوي لمحاصرة الفرد و الجماعة ،وهذا يظهر في نسقين هما الوضعية التي تعبر عن تشويه العقل من خلال العقل الأداتي[4]، فالتقنية تمثل صفة السيطرة لان الإنسان في ظلها تسلب منه إنسانيته حيث نجد أن المدرسة النقدية ترى ان السيطرة لها ثلاث جوانب متمثلة في:

- السيطرة على البيئة الفيزيقية
- سيطرة الإنسان على الأخر
- إخضاع البيئة البشرية[5]

وهذه الأنماط الثلاثة متداخلة فيما بينها لأن البيئة ترتكز على الإنسان الذي يخضع لسيطرة فالتقنية ذاتها سيطرة على الطبيعة وعلى الإنسان سيطرة منهجية علمية محسوبة وحاسبة فالتقنية هي على الدوام مشروع

[1]- يورغن هابرماس ، المعرفة والمصلحة ،ص ص148-149.

[2]- المصدر نفسه، ص249.

[3] - أبو النور حمدي أبو النور حسن، أخلاق التواصل ،ص55.

[4]- محمد نور الدين أفايية ،مرجع سابق ،ص31-33.

[5]- أبو النور حمدي أبو النور حسن، أخلاق التواصل ،ص60

اجتماعي تاريخي يسقط projektiect فيها ما يريد المجتمع والمصالح المتحكمة فيه ما فعله بالناس وبالأشياء ومثل هذا الهدف عن السيطرة مادي[1] ، فالتقنية تعتبر منذ بدايتها مشروع اجتماعي وتاريخي يحقق من خلالها المجتمع مصالحه فهي سيطرة على الطبيعة والإنسان ،فالسيطرة على الطبيعة التي تجعل الأفراد أكثر راحة ،وتجعل حياتهم أقل عناء بصورة مستديمة[2].

إن آلية السيطرة سكنت في المعرفة العلمية من خلال التقنية في العلم وكان ذلك بداية على الطبيعة لتنتقل لسيطرة على الإنسان.

كما يرى هابرماس أن العلم ليس بريئا وليس محايدا وليس نزيها ، فالعلم في سياق العقلانية التقنية تلتبسه حسابات السياسة، بإرادة قوة بالمعنى النيتشوي تنبغي تعريتها وإخراجها إلى واضحة النهار الأمر الذي يستلزم نقد المذاهب الوضعية والنزعة العلمية المتطرفة Scintism والنزعة التقنية [3]، يرى هابرماس في مجال العلم والتقنية كإيديولوجيا بأن العلم ليس بريئا لأن التقنية تحول البشر لوسائل وأدوات وبهذا تقمع طاقة الإنسان الإبداعية.

فكل عقلانية تكنولوجية يحايثها ويحل بها منطق للسيطرة يتمثل في إخضاع الإنسان لنظام الأشياء وإن استخدام التكنولوجيا الملائمة وتهيئة الأنظمة المناسبة المتوالية لبلوغ غايات ثابتة محددة فإنها تبقى شيئا يتم في غفلة عن التفكير في خلسة من المصالح الاجتماعية، إذ تفرض نوعا من السيطرة على الطبيعة والمجتمع[4]، فالعقلانية التكنولوجية إذ رافقها منطق السيطرة تخضع الإنسان لها وتحتكر طاقته الإبداعية لأنها بهذا تفرض السيطرة على الإنسان وعلى الطبيعة على حد سواء.

كما ركز هابرماس والدور الإيديولوجي للعلم والتقنية الحديثة ومحاولة تخليص العلاقات الاجتماعية والسياسية من ضباب الإيديولوجيا خاصة من كتاب العلم والتقنية كإيديولوجيا وكذلك في كتابه المعرفة والمصلحة[5]،ركز هابرماس على نقد المعرفة لأنه رأى أنه في حياتنا اليومية نفكر ونشعر بواسطة العقل الذي أصبح تكنولوجيا مسيطرة على المقومات فالعقل في المجال التقنية والعلم رأى هابرماس أنه إنجاز عن أصله اللغوس ولم يعد

[1]- هابرماس، العلم والتقنية كإديولوجيا، ص45.

[2]- المصدر نفسه، ص47.

[3]-عادل مصطفى، فهم الفهم مدخل إلى الهرمونوطيقا ،نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،ط2003،1،ص ص293-294.

[4]-المرجع نفسه ،ص 295.

[5]- بليمان عبد القادر، الأسس العقلية للسياسة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص20.

يغني الخطاب المقبول والمستند إلى البرهان والمفتوح على المعطيات الإحساس والخيال وهو بذلك قد أتاه في الحسابات الضيقة عندما أصبح راسيوRatio وأخذ الآن شكل الأداة والآلة ليصبح العقل الأدواتي[1].

كما يرى هابرماس أن هناك ما يميز التقنية عن الإيديولوجيا حيث أنها استطاعت ان تخلق مصالح مرتبطة بوجودها بين جميع الطبقات والشرائح المختلفة بل اخترقت حدود الجغرافيا والأمم جميع الطبقات والدول وحدود الأديان والمعتقدات والإيديولوجيات[2].

المطلب الرابع: الرأسمالية كمجال لهيمنة العقلانية الأداتية .

لقد حاول هابرماس بناء إطار نقدي شامل من الأخلاق والسياسة والدولة والمجتمع انطلاقا من إعادة قراءة رأسمالية الكلاسيكية قبل أزمة 1929 ،والرأسمالية المتطورة ولم يقتصر نشاطه على نقد التداخل بين العقلنة والهيمنة السياسية[3] لجأ هابرماس إلى مجال نقدي شامل فيما يخص الأخلاق و السياسة والدولة حيث رأى الرأسمالية تعتبر كمجال للهيمنة العقلانية الأداتية من خلال السيطرة كما أن العقلانية الأداتية قد اتخذت بعد سياسيا لازما للسيطرة الكلية على الإنسان المعاصر ،غير أن ما هو جديد ونحن نتحدث عن العقلانية في المجتمعات المتقدمة صناعيا وتكنولوجيا أنها قد اتخذت شكلا أكثر معقولية لأنها أصبحت تضفي طابعا عقلي على السيطرة مدعية انها تحقق التقدم الحضاري للإنسان[4]، فالتقدم الذي تدعيه العقلانية الأداتية لا يخرج من نطاق السيطرة التي تقف خلفه تلك القوى الاقتصادية والسياسية التي تعمل على تكريس هيمنتها على الأفراد قصد تحقيق مصالحها ومنافعها المختلفة.

ففي المجتمعات الرأسمالية المتقدمة صناعيا تتجه السيطرة إلى أن تفقد طابعها القمعي المهيمن والمسيطر لتتحول إلى نوع من السيطرة المعقلنة من دون أن تتخلى مع ذلك عن طابعها السياسي أو تفقده[5].

يرى هابرماس أن المجتمعات الرأسمالية المتقدمة تكاد تفقد طابعها القمعي في السيطرة لتتحول لنوع من السيطرة المعقلنة. حيث يعتبر هابرماس أن المجتمعات الرأسمالية تعطل وظيفة العقل لذلك يرى أن فهم طبيعة الحداثة الغربية تجعلنا في أفق الأسئلة الفلسفية للحداثيات الكبرى: هيجل ونتشه[6].

---

[1]– فتحي التريكي ورشيدة التريكي، فلسفة الحداثة ،مركز الإنماء القومي، لبنان ،بيروت ،1992،ص18.

[2]– حسن مصدق، بورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب،ط1، 2005،ص107.

[3] – بليمان عبد القادر، الأسس العقلية للسياسة،ص207.

[4] –كمال بومنير النظرية النقدية مرجع سابق،ص83.

[5]– عادل ممصطفى، فهم الفهم مدخل إلى الهرمونوطيقا ،نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير ، ص295

[6]– علي عبود المحمداوي، الاشكالية السياسية للحداثة ، ص225.

المبحث الثالث :هابرماس والقول الفلسفي للحداثة

المطلب الأول:

مفهوم الحداثة:

لغة: اللفظة العربية للحداثة مشتقة من الفعل الثلاثي حدث بمعنى وقع حدث شيء يحدث حدوثا وحداثة فهو محدث وحديث، وحدث الأمر أي وقع وحصل وأحدث الشيء أوجده والمحدث هو الجديد من الأشياء[1] فالحداثة هي الحدوث من حدث أي وجد وأصبح فالحداثة مساوية للواقعة أي حدوث الشيء.

إن الكائن الطبيعي لا يمكن ان يصبح فردا واعيا وشخصا مفكرا عاقلا إلا إذا خرج إلى الوسط العام لمجتمع لغوي[2]، أما لفظ الحداثة الغربية Modernité مشتقة الجدرMode وهي الصفة أو الشكل أو هو ما يبتدئ به الشيء [3]، فالحديث هو نقض القديم وهذا ما جاء في بعض المعاجم الفلسفية يحددها هابرماس البداية التاريخية للحداثة وذلك بإرجاعها إلى عصر النهضة الأوروبية ، إذ يرى أنها ظهرت بداية من خلال لفظ حديث والذي استعمل لأول مرة في نهاية القرن الخامس ميلادي وذلك بغرض تميز الحاضر المسيحي في تلك الفترة من الماضي الروماني والوثني ليتضح بذلك مفهوم الحداثة (....) يعبر عن وعي عصر ما يحدد نفسه بعلاقة بماضي العصور القديمة وبفهم ذاته نتيجة انتقال القديم إلى الحديث[4].

يذهب هابرماس إلى هيجل هو أول فيلسوف يرجع إليه الفضل في تحديد مفهوم الحداثة بوضوح والكشف عن العلاقة بين الحداثة والعقلانية [5]، فقد كانت العقلانية أهم ميزات الحداثة وقد استخدم هيجل مفهوم الحداثة في السياق التاريخي لتشير إلى الأزمنة الجديدة أوالأزمنة الحديثة[6]، فالحداثة هي وعي لعصر جديد وهي عبارة عن تحول.

---

[1] – ابن منظور ، لسان العرب ، مج 2 ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1955 ، ص 131

[2] -Habremas: l'aveer de la natuer humaine, vers un eugenisme le beral? Trad par bouchindhomme, ed Gallimard, paris, 2001,p ,282.

[3] – جميل صليب ، المعجم الفلسفي ، ج2، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،لبنان ، 1982 ، ص ص 455 _ 459

[4] – يورغن هابرماس ، الحداثة مشروع ناقص ، ترجمة بسام بركة ، مجلة الفكر العربي ، مجلة العلوم الانسانية والحضارية ،ع 39 ، مركز الانماء القومي العربي ، لبنان ، 1996 ، ص42.

[5] – المصدر نفسه ، ص 12.

[6] – المصدر نفسه، ص 13

اصطلاحا:

يعرفها أندري لالاند بقوله: حالة ثقافية وحضارية ومجتمعية جاءت كتعبير عن حالة المجتمعات الصناعية الغربية التي بدأت منذ القرنين 19 و 20 وهي في الوقت نفسه امتداد لجهود حديثة بدأت منذ القرن 16م في أوروبا[1]، فالحداثة هي حالة التغير التي طرأت على المجتمعات الغربية وهي تعني التحول الحضاري.

وما ينبغي للإشارة إليه أن كلمة حداثة استعملت في المجال الفني بالخصوص في حقل النقد الأدبي وكان ذلك من طرف بودلير سنة 1850 معلنا من خلاله أن الحداثة : تمثل عملية تدمير للأشكال الثابتة التي تحول دون تطور الفن والمشاعر والأفكار والعادات [2]، فالحداثة هي الانتقال، يطلق مصطلح الحداثة بشكل عام على مسيرة المجتمعات الغربية منذ عصر النهضة إلى اليوم[3].

فالتحديث هو قبل كل شيء عملية أو مجموعة من العماليات التراكمية التي تطور في مجتمع ما قوي الإنتاج وتعبأ الموارد والثروات وتنمي إنتاجية العمل وتمركز السلط الاجتماعية والسياسية داخل أجهزة محكمة[4]، إن تشكل حركة التحديث يجعل الفكر الفلسفي حساسا اتجاه أمرين: من جهة اتجاه خسارة المادة الإنسانية التي تتطلبها العقلنة المندفعة بصورة فظة في مجتمع يحاول الاستمرار رغم ما يحتوي عليه من متنافرات طبيعية[5]

ظهرت الحداثة في القرن 15م مع الشاعر الفرنسي شارل بودليرCharle Baudelaire (1821-1867) حيث يرى هابرماس إن الحداثة مفهوم يعبر عن وعي عصر ما ،يحدد نفسه بعلاقاته بماضي العصور القديمة ويفهم ذاته نتيجة انتقاله من القديم إلى الحديث ،لقد أنجزت الحداثة في القرن 18 مع كانط صاحب النظريات النقدية وذلك من خلال عمله الشهير نقد العقل النظري.

يحدد لنا هابرماس البداية التاريخية لظهور الحداثة ويرجعها إلى عصر النهضة الأوروبية مما يعطي لها دلالة تاريخية اجتماعية وسياسية ،حيث يرى أنها قد ظهرت بداية من خلال لفظ حديث والتي استعملت أول مرة نهاية

[1]Andre lalande .vocabulaire technique et ertique de la philosophie. presse un versitaire de la france2enneedition paris.1998.p640.

[2]– محمد نور الدين أفاية ، الحداثة والتواصل، ص109.

[3]– ألان تورين ، نقد الحداثة، تر أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة مصر ، 1997، ص 16.

[4]- فتحي التريكي ورشيدة التريكي ، فلسفة الحداثة، مركز الإنماء القومي، لبنان، 1992، ص 09.

[5]- يورغن هابرماس، الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، تر نظر الجاهل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1995، ص 24.

القرن الخامس ميلادي وقد اعتبرت الفكر الغربي منذ أواخر القرن الثامن عشر جعل من الحداثة موضوعا فلسفيا[1]، يرى هابرماس أن البداية التاريخية لظهور الحداثة راجع إلى عصر النهضة الأوروبية.

أنطلق هابرماس من سد الثغرات التي وجدت في النظرية النقدية ودافع عن العقل والعقلانية ومن أجل هذا وجد نفسه في مواجهة مع مشكلات الحداثة وما آل إليه الحديث وكذلك مواجهة التيارات الفلسفية المضادة للحداثة والتيارات ما يسمى ما بعد الحداثة ونزعتها التفكيكية للعقل فكان رافعا شعار "أن الحداثة مشروع لم يكتمل بعد[2]"، كانت بداية هابرماس فيما يخص الحداثة هو انطلاقة من الثغرات الموجودة في النظرية النقدية والدفاع عن العقل من السيطرة .

يحاول هابرماس تطوير مشروع الحداثة لأنه يعتبر الجدل العقلي والعلاج للمجتمعات في الحق والعدل، الحرية فهو يدعو إلى المزيد من المناقشة العقلية للقيم والمعايير ، ولذلك نجده يرجع إلى كانط ويستخدم اتجاهاته في العقل ويؤكد هابرماس على أن المجتمعات الرأسمالية يتم فيها الحد من دور العقل[3]

فالحداثة بمعنى آخر هي الوعي حيث تكون المجتمعات في ظل هذه الحداثة تكون على أخلاقيات الحق والعدل والحرية في المناقشات.

نستطيع أن نقول أن الحداثة كما قال هبرماس هي: الوعي بالمرحلة التاريخية، التي تقيم العلاقة مع الماضي ،من اجل أن تفهم ذاتها باعتبارها نتيجة لنوع من الانتقال أو العبور من الماضي للحاضر[4]، يعني من هذا هابرماس أن الحداثة هي الوعي من خلال المرحلة التاريخية التي ترتبط بالماضي فهي مرحلة الانتقال من الماضي إلى الحاضر.

يرى هابرماس أن الباحث عن مقدمات الخطاب الفلسفي للحداثة عليه الرجوع إلى هيجل وذلك لفهم الدلالة التي كانت تمتلكها العلاقة الداخلية بين الحداثة والعقلنة وهذه الدلالة أصبحت بديهية مع ماكس فيبر أصبحت اليوم موضع شك وتساؤل، يبرر هابرماس الرجوع إلى هيجل باعتباره أول فيلسوف طور بكل وضوح مفهوم محدد للحداثة[5]، يرجع هابرماس الفضل إلى هيجل باعتباره أول فيلسوف طور مفهوم الحداثة حيث يرى

[1] –أبو النور حمدي أبو النور الحسن ،الاخلاق والتواصل ، ص80.

[2] – عطيات ابو السعود، نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس، مجلة اوراق فلسفية القاهرة ،العدد 10 ،2004، ،ص315.

[3] – هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ص8.

[4] – المصدر نفسه ،ص12.

[5] –أبو النور حمدي أبو النور ، الأخلاق والتواصل ،ص82.

هابرماس أنه إذا أضفنا مفاهيم مثل: الثورة والتقدم والتمرد والتطور والأزمنة وروح العصر إلى الأزمنة الجديدة والزمن الحاضر فإن ذلك يقربنا من الشكل الأساسي المتمثل في الزمن الحديث المرتبط بالثقافة الغربية.

وعند الدراسة لما يخص الحداثة نجد أنفسنا تساؤلات من بينها الرؤية الإنسانية كان عماد من أعمدة الحداثة أي بناء الوعي بالذات والوعي التاريخي بمركزية الأمة الذي قد أصبح اليوم عائقا في حركية التحديث؟

وهذه المعضلة ناتجة عن الانفصال في أنماط تصور الزمنية التاريخية تحت وطأة عملية التحديث التي لم تحدث بحسب هابرماس[1]،إلا بعد الخمسينات أي بعد إعادة النظر في المعقولية الغربية حيث ترعرعت الحداثة أي أن الحداثة من منظور هابرماس لم تحدث إلى بعد الخمسينات وذلك من خلال المعقولية الغربية.

إن نقد مشروع الحداثة لم يتوقف عند محاولة تجاوزه تجاوز مطلقا لما بعد الحداثة بل نجد عدة تيارات تنتقده وتحاول إظهار سلبياتها المتعددة في بلدان العالم الغربي، حيث جمع هابرماس هذه التيارات تحت اسم المحافظة وربطها بخيبة الأمل وهنا نجد هابرماس قد ميز بين ثلاث نزعات تعارض الحداثة:

- نزعة الشباب المحافظين وقد عاشوا تجربة الحداثة الجمالية وهي مظهر من مظاهر الذاتية .
- نزعة المحافظين القدامى الذين ينقذون تفكك العقل الأساسي وينصحون بالعودة لما قبل الحداثة.
- نزعة المحافظين الجدد ،فهم ينتهجون بتطور العلم الحديث، على أن لا يخرج هذا العلم عن نطاقه إلا ليساعد على التقدم التقني و النمو رأسمالي[2].

كان موقف هابرماس من الحداثة هو أنها في نظره مشروع لم يكتمل بعد لأنها لم تحقق النتائج المرجوة فيها حيث أنها أدت إلى جملة من الانكسارات وإرهاق الإنسان بمختلف عواملها لهذا رأى إمكانية إخضاع ما يشكل اللاعقلانية المرتبطة بالفعل التواصلي.

كما شخص الحداثة الأوروبية على ضوء ماكس فيبر أنها عقلانية أداتية ولخص هذا الأخير المميزات والخصوصية الأوروبية تحت مفهوم العقلنة و العقلانية التي تجلت في ازدياد الحسابية و البحث عن الربح والسيطرة المنظمة على كل الجوانب الحياة الإنسانية على أساس قواعد قللت من الاعتماد على القيم التقليدية المتوارثة[3].

[1]- هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ص ص 10-12.

[2]- فتحي التريكي، ورشيدة التريكي، فلسفة الحداثة مركز الانماء القوي، بيروت، لبنان، 1992، ص11.

[3]- حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية، ص11.

حيث يرى هابرماس فرض تطبيقات أو تأويلات وحيدة على جميع أفراد المجتمع في مجتمع الحداثة: "لا تستطيع الحداثة أن تستعير المعايير التي تسترشد بها عن عصر عابر، مثلما أنها لا ترغب في ذلك فهي تكابد ملزمة لتستخرج معياريتها من ذاتها، ولا يمكن لها أن تعتمد إلا على نفسها[1].

فجدل العقلنة والتقدم عند هابرماس ،يظهر أن المرحلة الحديثة لم تحقق مشروع الحداثة، فالتقدم يتطلب ثمنا يصعب تحديد قيمته، وفي نفس الآن نشهد على نوع من الاستعمار Colonisation للعالم المعيشي[2].

يطلق هابرماس على الحداثة كلمة مشروع حيث نجده يصف هذا المشروع الحديث بأنه غير مكتمل لأن المشكلات التي يتناولها لم تحل بعد، إذ يعتقد أنه من غير المجدي تعطيل أو عكس اتجاه عملية التحديث الجارية، ولأنه يعتقد أيضا أن البدائل المطروحة للحداثة والتحديث أسوء[3]اعتبرها هابرماس أن الحداثة مشروع غير مكتمل وهو عكس اتجاه عملية التحديث إذ أنه يعتبر تعطيل لأن المشكلات التي يتضمنها لم تحل بعد.

لذا يؤكد هابرماس على التفاهم والاتفاق والتواصل والإجماع ،تماشيا مع فهمه المعياري للحداثة، باعتبار أن العالم الحديث بمختلف عوالمه المعاشة يحتاج إلى أخلاق تواصلية بهدف خلق شروط معيارية للاتفاق على الحقيقة المبرهن عليها دوما، لأن نظرية الفاعلية التواصلية تؤكد عل العلاقة العضوية بين أشكال الممارسة وفعل العقلنة يدعو هابرماس هنا أن العالم الحديث يحتاج لأخلاق تواصلية قائمة على فعل عقلاني.

المطلب الثاني: أبعاد الحداثة

البعد التقني أو العلمي

هناك من يرجع الحداثة إلى التقنية والنزعة العلمية حيث يرو أن الحداثة عصر الإنتاجية من خلال ازدهار العلوم والنمو العقلاني لوسائل الإنتاج، ويتجلى ذلك في تشديد السيطرة على الطبيعة فالإنسان والطبيعة أصبح مجرد قوى إنتاجية مرتبطة بخطط فعالية قصوى وهذا يؤسس تحول في الحداثة يظهر من خلال الانتقال من حضارة العلم والتقدم إلى حضارة الاستهلاك والترفيه[4]فالحداثة مقترنة بعصر الإنتاجية والازدهار في المجالات العلمية ولهذا

[1]- حسن مصدق، المرجع السابق، ص111.

[2]- محمد نور الدين أفاية ،الحداثة والتواصل ،ص60.

[3]- جيمس جوردن فينيلسون، يورجن هابرماس ، ترجمة أحمد محمد الرويب ،مؤسسة هنداوي، مصر ،ط 1، 2015، ،ص79.

[4]- محمد نور الدين افاية، الحداثة والتواصل، ص113.

تحولت من العلم إلى الاستهلاك وهذا ما أطلق عليه هابرماس (استحالة بشرية)[1] وذلك يظهر من خلال السيطرة على الإنسان.

ومن خلال هذا يذهب هابرماس إلى نقد الوضعية حيث أن نقد هابرماس للوضعية ينصب على تعبيرها الفلسفي كما على دورها الإيديولوجي، فالعلمي والإيديولوجي متلازمان في الوضعية المعاصرة فالوضعية تسجل ما يسميه هابرماس بنهاية نظرية المعرفة [2] أن هابرماس من خلال البعد التقني والعلمي أنتقد الوضعية في مختلف تعبيراتها وما كان يهم هابرماس من هذا النقد هو إبراز أن مسألة التفهم لا يمكن استبعادها من طرف الوضعية باسم العلوم التجريبية لأن تكوين هذه العلوم نفسه يتضمن الضرورة لحظة التفهم حتى ولو كان مغلقا.[3]

فالحداثة لا يمكن فصلها عن النجاحات الكبيرة التي حققتها العوم والتكنولوجيا ولا على التطور العقلاني لمختلف أنظمة الإنتاجات بحيث تماثلت وعصر الإنتاجية سواء من حيث تكيف إنتاجية العمل البشري أو من حيث سيطرة الإنسان على الطبيعة وقوى الإنتاج المختلفة[4].

يرى هابرماس أن الحداثة لا يمكننا فصلها على النجاحات التي حققتها في العلوم ولا عن التطور العقلاني الحاصل من خلالها في أنظمة الانتاج سواءا من إنتاج العمل أو من خلال السيطرة التي ربطت بها.

إن الوضعية والنزعة التقنية يشكلان وجهين لنفس الوهم الايديولوجي فالوضعية تسجل ما يسميه هابرماس بنهاية نظرية المعرفة [5]كان لهابرماس موقف من نظرية المعرفة حيث انتقدها وكان يسميها نهاية المعرفة وكان يرى أن الوضعية هي نفي لتفكير حيث اعتبر أن الوضعية والتقنية ما هما إلا وجهان لنفس الوهم.

فقد حاول هابرماس ممارسة نقده على جبهتين: جبهة السجال العلمي مع من يسميهم بالوضعين على اختلاف نزعاتهم و منطلقاتهم ،وجبهة الصراع الايديولوجي[6] حيث يرى بكل نمط معرفي هو خاضع لتوجيه مصلحة خاصة.

[1]- هابرماس، التقنية والعلم كإيديولوجيا ،ص13-14.

[2] - محمد نور الدين حسن، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، ص 62.

[3]- نفس المرجع ،ص64.

[4] - أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، ص97.

[5]- محمد نور الدين افاية ، الحداثة والتواصل ، ص63.

[6]- المرجع نفسه ،ص67.

فالوضعية في نظر هابرماس تعبر عن أسلوب لتحنيط العلم لدرجة يغدو فيها ايمانا مقتنعا بقدرته الخارقة على تقديم أجوبة على كل الأسئلة ووضع الحلول لكل المشاكل.

حيث يشير هابرماس إلى أن منطق السيطرة صورة كامنة في أسلوب التفكير العلمي والتقني الحديث، وهذا الأسلوب يعبر عن إرادة السيطرة التي تميزه ولا تنفصل عنه ويمثل نوعا من القبلي التقني الذي ينظر للطبيعة بوصفها مادة للتحكم والتنظيم، ثم يمد سلطانه على البشر فيضعها تحت تصرفاته وسيطرته[1]، فالتقنية والوضعية يعتبران وجها للوهم إيديولوجي واحد وقد بين ذلك هابرماس من خلال كتابه "التقنية والعلم كإيديولوجيا"

ففي ظل الدولة الحديثة لا يستطيع العلم تحرير الفرد وتخليصه من الاغتراب الذي وضعته فيه الثقافة الجماهيرية الحديثة أو ما يسمى باسم المجتمع الصناعي، وهذا ما يصفه ماركيوز باسم الطابع اللاعقلاني للعقلانية[2] حيث ربط هابرماس بين الوضعية و العقل الأداتي والتحول التقنية إلى أيديولوجيا سائدة هنا تصبح ضد العلم والعقل .

وقد وصل هابرماس إلى أن النزعة التقنية هي الجنوح إلى اعتبار التطبيق العملي للمعرفة العلمية وهو وحده الكفيل بأن يقدم المجتمع وقد أخذ هابرماس على عاتقه مهمة الكشف عن الوهم التقني ومضمونه فالتكنولوجيا الحديثة في المجال التقني والعلمي تضفي الأشياء صفة الأدوات وتحولها لمجرد وسائل وضمنها يتحول الإنسان نفسه إلى أداة .

البعد السياسي:

إن هيمنة الدولة **البيروقراطية*** لم تزد نموا إلا مع تقدم الحداثة ،لأنها مرتبطة بتوسع مجال الاقتصاد السياسي ، فالحداثة مرتكزة في كل قطاعات الحياة، حيث أن هابرماس حرص على بيان الحداثة وخطابها السياسي في واحد من احدث كتبه وهو الحداثة ، وخطابها السياسي والذي يعرض فيه للقضايا المختلفة وهي :

- مستقبل الديمقراطية
- المواطنة و الهوية القومية

[1] – أبو النور حمدي أبو النور حسن ، الأخلاق والتواصل،ص56.

[2] – المرجع نفسه ،ص57.

- إضفاء الشرعية بواسطة حقوق الإنسان [1].

يرى هابرماس بأن الرأي في القرار السياسي يجب أن يتكون من خلال المناقشة التي يفرضها التبادل السياسي داخل المجتمع.

يرى أنه بحكم أن النظام السياسي الذي أنتجته الدولة الحديثة في حاجة دوما إلى ولاء الجماهير، فهو يبحث بالضرورة عن أساليب متعددة لإضفاء المشروعية على مؤسساته وأهم شيء عند هابرماس هو الاعتراف بالجميع داخل مجال عمومي [2].

كما يرى هابرماس أن الرأسمالية الحديثة تتميز بهيمنة الدولة على الاقتصاد وعلى المجالات الأخرى للحياة الاجتماعية ، وأن شؤون حياة العامة لم يعد ينظر إليها باعتبارها مجالا للنقاش والاختيار ، بل باعتبارها مشكلات تقنية تحل بواسطة خبراء يستخدمون في عملهم عقلانية أداتية[3].

فالرأسمالية الحديثة حسب هابرماس تعتبر وسيلة هيمنة تستعملها الدولة على الاقتصاد لتحقيق رغباتها: حيث يؤثر طغيان الدولة وزيادة سيطرة الطبقة التكنوقراطية، تلك السيطرة اللازمة لإدارة الأزمات الأخرى، تؤثر في إضعاف دافعية الناس للمشاركة مشاركة فاعلة في النظام على أي وجه من الوجود[4].

*- **البيروقراطية** أو الدواوينية هي مفهوم يستخدم في علم الاجتماع والعلوم السياسية يشير إلى تطبيق التوازنين بالقوى المجتمعات المنظمة، وتعتمد هذه الأنظمة على الإجراءات الموحدة وتوزيع المسؤوليات بطريقة هرمية والعلاقات الشخصية وهناك العديد من الأمثلة على البيروقراطية المستخدمة يوميا، الحكومات، القوات المسلحة، الشركات ويعود أصل كلمة البيروقراطية البيرو (Bureau) أي المستخدمة في بداية القرن 18 وكلمة قراطية هي مشتقة من الأصل الإغريقي كاتس ومعناها السلطة والكلمة في مجموعها تعني امكتب والسلطة.

[1]- أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل،ص76.

[2]- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ،نموذج هابرماس ، ص101.

[3]-أيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس،ص315.

[4]- المرجع نفسه ،ص317.

الديمقراطية*:

إذ يرى هابرماس فيما يخص الديمقراطية أنها شرط من شروط الخطاب، حيث ينص المبدأ الديمقراطي على أن القوانين الشرعية يجب أن تكون قابلة لقبول جميع أفراد المجتمع القانوني، لا لقبول كل من يتأثر بالمعيار[1]. إن جوهر النشاط الديمقراطي على حسب هابرماس هو أنها تمثل شرط من شروط الخطاب، إذ أنه أعتبر أن النشاط الديمقراطي هو المناقشة، لذا ربط بين النشاط الديمقراطي الذي هو يدعو التواصل ، إذ أن الديمقراطية تقوم على المناقشة.

فالنموذج المرغوب للديمقراطية هو الذي يمكن كل المواطنين من التعبير عن أفكارهم وانتماءاتهم الثقافية والعرقية، ويمكنهم كذلك من التفاهم على اقتراحات مقبولة من الجميع، وهذا لن يتأتى إلا من خلال نظرية المناقشة، ومبدأ الحوار لتكوين إرادة سياسية حقيقة[2]، فالنموذج الأمثل في الديمقراطية هو الذي يمكن المواطنين من التعبير عن آرائهم وذلك من خلال المناقشة والحوار .

إذ أن نظرية المناقشة تعتبر مقولة مركزية في تحديد وضبط مفهوم الديمقراطية كما يجب أن تكون وفي هذا الصدد يقول هابرماس (نظرية المناقشة تشرك إلى سيرورة الديمقراطية مفاهيم معيارية أثر قوة مما يقوم به النموذج الليبرالي، وأكثر ضعف مما يقوم به النموذج الجمهوري[3]، فنظرية المناقشة تربط بين الجانب الاجتماعي والسياسي من خلال الحوار .

*- **الديمقراطية** هي شكل من أشكال الحكم يشارك فيها المواطنين المؤهلين على قدم المساواة أما مباشرة أو من خلال ممثلين عنهم منتخبين في اقتراح وتطوير واستحداث القوانين وهي تشمل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تكمن الموظفين من الممارسة الحرة والمتساوية لتقرير المصير السياسي. يطلق مصطلح الديمقراطية أحيانا على المعنى الضيق لوصف في دولة دمقراطية أو بمعنى أوسع لوصف ثقافة مجتمع، والديمقراطية بهذا المعنى الأوسع هي نظام إجتماعي مميز يؤمن به ويسير عليه المجتمع ويشير إلى ثقافة سياسية وأخلاقية معينة تتجلى فيها مفاهيم تتعلق بضرورة تداول السلطة بصورة دورية، فمصطلح الديمقراطية مشتق من المصطلح الإغريقي ويعني حكم الشعب بنفسه.

[1]-جيمس جردن فليبس، يورغن هابرماس ،ص125.

[2]-محمد نور الدين افاية ،الحداثة و التواصل ،ص165.

[3]- مقورة جلول، مجلة الحكمة لدراسات الفلسفية ،مجلة دورية أكاديمية محكمة ،تصدر عن المؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، العدد 16،السداسي الأول ،2013،ص83.

القومية*:

إن النزعة القومية، في رأي هابرماس، ليست وسيلة للسيطرة على الموارد الملازمة لعملية التحديث الخطاب الأخلاقي والقانون الشرعي بل هي محاولة يائسة لعكس العملية [1].

اعتبر هابرماس أن محاولات النزعة القومية يائسة، حيث أن الجوانب الانتكاسية للقومية هي محاولات فاشلة:

- لاستبدال الأشكال الحديثة من الاندماج الاجتماعي.
- التواصل والخطاب والقانون الشرعي.
- للبحث عن معيار ما قبل سياسي وطبيعي لعضوية المجتمع السياسي.
- لتخليص العملية السياسية من أثر الخطاب والتواصل[2].

اعتبر هابرماس القومية أنها نزعة وليست وسيلة للسيطرة لكنها تعتبر ذات محاولات فاشلة، ولذا بحسب هابرماس فإن مفهوم الدولة القومية ينطوي على صراع بين نصفيه" بين عالمية المجتمع القانوني القائل بالمساواة وخصوصية مجتمع يوحده المصير التاريخي "[3].

البعد السيكولوجي:

هناك من يعتبر في هذا المجال أن الحداثة مفهوم سيكولوجي فردي في مواجهة مبدأ الإجماع في المضامين الدينية للمجتمع التقليدي، فالعصر الحديث يميز بظهور الفرد بوصفه كائن يحوز الوعي ومع ذلك يجد الإنسان بكل صراعاته الشخصية والنفسية ومصلحته الخاصة نفسه محاصر بنسيج من وسائط التواصل لأنه يبحث عن تعويض نسق لشخصه من خلال العلاقات[4]. اعتبر بعض فلاسفة مدرسة فرانكفورت أن مجال الحداثة ذات مفهوم

*- **القومية** هي إيديولجية وحركة اجتماعية سياسية نشأت مع مفهوم الأمة في عصر الثورات (الثورة الصناعية، البورجوازية، الليبرالية،) في أواخر القرن 18، لم تعرف القومية نظريا بمعناها الحديث إلى في نهاية القرن 18 وتطورت في القرن 19، منذ استخدام جوسوبتي ماتزيني الزعيم والسياسي القومي الإيطالي هذا المصطلح للمرة الأولى نحو 1835 ومنذ تنبه المؤرخون والسياسيون لدلالته المهمة في الثقافة الغربية احتل مفهوم القومية مكانة في الفكر السياسي والتاريخي والاجتماعي والثقافي.

[1]- جيمس جوردن فنلسون ، يورجن هابرماس ،ص131.

[2]- المصدر السابق ، ص132.

[3]- المرجع نفسه ،ص130.

[4]-محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ،نموذج هابرماس ،ص113.

سيكولوجي فردي لأنها تخص الفرد بكل صراعاته الشخصية والنفسية ومصلحته الخاصة. ومن أهم الفلاسفة النقديين الذين اهتموا بالبعد السيكولوجي نجد ماركيوز، الذي أكد في كتابه " إيروس الحضارة" على رفضه احتقار الذات الدنيا، وقد أعاد ماركيوز في هذا الكتاب النظر إلى فرويد، وكذلك نجد اريك فروم الذي أدخل التحليل النفسي في مدرسة فرانكفورت حيث اعتبره أداة للتفكيك[1] .

يظهر البعد السيكولوجي للحداثة من خلال أراد بعض الفلاسفة أنه يتضمن فيها من وراء الشعور والوجدان والذات والأنا بوجه عام . كما نلاحظ أن هابرماس قد قارب في المقام الأول التحليل النفسي من زاوية معرفية في "المعرفة والمصلحة"، وهو تحديد موقع العلم الذي يشكله التحليل النفسي المستند على فريد، فقد شدد هابرماس على اختزال التحليل النفسي إلى نموذج معرفي بالأخص على استثناء الذي يشكله التحليل النفسي بالنسبة للتأويل[2] .

[1]- أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل ،ص78.
[2]- المرجع السابق ، ص79.

الاستنتاجات في الفصل الثاني:

– إن النظرية النقدية لهابرماس ميزتها الأساسية هي العقلانية التي اعتبرت أنها مفتاح الحداثة حيث نجد أن هابرماس منذ كتابه التقنية والعلم كإديولوجيا وهو منشغل بنظرية العقلنة عند فيبر فقد أراد هابرماس أن يعطي مفهوم متميز للعقل.

– النظرية النقدية لهابرماس وإن ولدت من رحم النظرية النقدية الكلاسيكية فإنها اتخذت طابعا جديدا هو طابع التواصل.

– اجتهد هابرماس من أجل إعادة بعث العقل من جديد وإعادة تأسيسه من خلال ربط العقلانية بالتواصل ويرى أن وحدة العقل تتجسد من خلال الممارسة التواصلية .

– أخذت العقلانية أسم العقلانية الأداتية التي أصبحت تهدد الوجود الإنساني في المجتمعات الغربية المعاصرة من خلال السيطرة مما ادى بهابرماس إلى انتقادات الموجهة لما يسمى بإيديولوجيا القائمة على المعرفة العلمية والتقنية في ظل التقدم تحت غطاء مشروع السيطرة بأشكالها المختلفة.

– دعوة هابرماس لتأسيس نظرية جديدة للعقلانية ذات نمط تبادليا رمزيا يعتمد على مسألة التواصل، فالعقلانية التي دعا لها مشروع هابرماس هي بالذات العقل التواصلي أي عقلانية الفعل والتفهم .

– ليس هناك نقاء علميا والعلم في سياق العقلانية التقنية ملتصق بحسابات السياسة.

– الوضعية تعبر عن أسلوب لتحنيط العلم.

الفصل الثالث

ماهية اللغة

ووظيفتها في التواصل

المبحث الأول: اللغة ووظيفتها في التواصل

المبحث الثاني: النظرية التواصلية وأبعادها عند هابرماس

المبحث الثالث: التواصل والعالم المعيش

تمهيد :

اعتبر هابرماس أن للغة أمية ووظيفة في التواصل إذ رأى أن اللغة هي الممثل الرئيسي للتواصل بين الأفراد في ظل حديث مثالي غير مشوه أو اتصال بين الأفراد أو على نطام الحوار المسند إلى أدلة وحجج عقلية. فما هو دور اللغة في التواصل؟

الفصل الثالث: ماهية اللغة ووظيفتها في التواصل :

المبحث الأول : اللغة ووظائفها في التواصل:

1. اللغة اصطلاحا:

في سنة 1949 م تحدث **موريس ميرلوبونتي*** في محاضرته بجامعة السوربون عن أهمية البحث في مشكلات اللغة ،و أكد على أن محور الفكر الفلسفي قد تحول لصالح هذا البحث، كما عبر ميرلوبونتي على أسفه تجاه معاصره جان بول سارتر لأنه لم يدرك هذا التحور الضروري وظل يعلق على النمط الديكارتي باحثا عن فلسفة الوعي[1].

بين موريس ميرلوبوتي أهمية اللغة من خلال البحث في مشكلاتها إذا أكد أن محور الفكر الفلسفي تحول لصالح اللغة.

ويرى **فردينان دي سوسير*** رائد علم اللغة الحديث أن "اللغة" longue هي القالب أو البنية اللغوية التي وجودا مثاليا خارج أي استعمال يومي معين ،ذلك الاستعمال الذي يطلق عليه سوسير الكلام Parole في

*– **موريس ميرلوبونتي** 1908-1961) Mourice Merleouponty) فيلوف فرنسي تأثر بفينومنيولجيا هوسرل وبالنظرية الالقشالية التي وجهت اهتمامه نحو البحث في دور المحسوس من أهم كتبه بنية السلوك 1942 وفينومينولوجيا الإدراك 1945 وقد بين في هذه الأعمال بطلان مطامح علم النفس في تأسيس ذاته كعلم، ومهمة الفلسفة الفينومنيولوجية حسب ميلوبونتي تتمثل في تحقيق الرجوع إلى علم الحياة الأصلي والبدائي والعودة للأشياء ذاته كما نجد أنه انطلق من الفينومنيولوجيا لكي يوضح صلة الإنسان بالعالم واكمل وجود حلقة ا تنفصل بين الذات والموضوع لأن العالم اسقاط جانب الذات.

[1]– فوزية شراد ، مذكرة فلسفة اللغة عند هابرماس ، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الفلسفة ، 2009-2010، جامعة منتوري قسنطينة ، ص 89.

الكلام عند دي سوسير هو الكتلة المهشوشة للعبارات التي لا تصلح لعلم اللغة التي هي المادة المثالية المنظمة [1] واللغة عند دي سوسير البنية اللغوية التي يطلق عنهما من خلال الحوار والمعاملات

أما **تشومسكي****(**chomsky**) فقد قال في اللغة ما يلي :" من الان فصاعدا ساعد اللغة مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل، كل جملة محدودة من العناصر [2]، نرى بأن التشومسكي اعتبر اللغة مجموعة من الجمل.

يؤكد هابرماس "أن اللغة تمثل جانبا واحد من جوانب الواقع وأن ثمة عوامل أساسية أخرى إذ تتشكل العلة الموضوعية التي يمكن من خلالها استيعاب الأفعال الاجتماعية من اللغة والعمل والسلطة، ويفترض هذا الإخضاع للغة من خلال تضمين عناصر أخرى نزعة واقعية نظرية يمكن في ضوئها رؤية اللغة بوصفها مرتكزة على شيء غير ذاتها[3]، يرى هابرماس أن اللغة تمثل احدى جوانب الواقع لأنها تمثل الصلة الموضوعية التي يتم من خلالها إستعاب الأفعال.

*- فيناند دوسوسير 1913-1837) Ferdinad de soussure) علم لغويات سويسري يعتبر الأب والمؤسس للمدرسة البنيوية في اللسانيات في القرن العشرن، وهو من أشهر علماء اللغة في العصر الحديث حيث اتجه بتفكيره نحو دراسة اللغات دراسة وصفية باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية كانت اللغات تدرس دراسة تاريخية وكان السبب في هذا التحول الخطير في دراسته اللغة هو اكتشاف اللغة السنسكريتية، كان دوسوسور أول من اعتبر اللسانيات كفرد من علم اشمل يدرس الاشارات الصوتية اقترح دي سوسور تسمية semiology ويعرف حاليا اليسميوتيك أو علم الاشارات، من اهم مؤلفاته كتاب محاضرات في اللسانيات العامة الذي كان في 1916.

[1]- عادل مصطفى ، فهم الفهم مدخل إلى الهارونوطيقا نظرية التأويل من افلاطون إلى جادامار ،دار النهضة العربية ،بيروت ط1، ص204.

- **أفرام نعوم تشومسكي 1928) Avram Noam chomsky) فيلسوف ولغوي وصحفي الرأي وكاتب سياسي وتربوي وناقد اعلامي وبروفيسور، هو أستاذ ليسانيات وفيلسوف أمريكي إضافة إلى أنه علم إدراكي وعالم بالمنطق ومؤرخ وناقد وناشط سياسي، كتب عن الحروب والسياسة ووسائل الاعلام وهو مؤلف لأكثر من 100 كتاب وفق لقائمة الإحالات في الفن والعلوم الإنسانية عام 1992 فإنه قد تم الإستشهاد بتشومسكي كمرجع أكثر من اي عالم خلال فترت 1980-1992، يوصف تشومسكي أيضا أنه أب علم اللسانيات الحديثة ويعد شخصية رئيسية في الفلسفة التحليلية يعود له تأسيس نظرية النحو التوليدي والتي كثيرا ما تعتبر أهم أسهام في مجال اللسانيات النظرية في القرن العشرين.

[2]- فوزية شراد ،مذكرة فلسفة اللغة عند هابرماس ،ص 92.

[3]-ابو النور حمدي ابو النور حسن، الأخلاق والتواصل، ص176.

حيث يشير هابرماس إلى أهمية اللغة في الاتصالية أو الاتصال عندما يذهب بالقول إلى "أن الأفعال الاتصالية ممكن أن يتم فهمها بعملية دائرية التي يقوم بها يقوم الممثل بدور يبين في دور واحد [1]،وهذا ما يؤكد هابرماس على أهمية اللغة ودورها في التواصل.

وتعد مساهمة هابرماس في فلسفة اللغة، مساهمة مميزة على أكثر من مستوى ،لأنها أولا تأسست على نتائج نظرية أفعال الكلام والألسنية والتأويلية الفلسفة، وثانيا لأنها تشكل نظرية لغوية تميزت بقدرة كبيرة على التغيير الاجتماعي والسياسي والقانوني، مما أعطاها صبغة كلية وعالمية، وثالثا لأنها موضع مناقشة [2]. كانت مساهمات هابرماس بالإضافات والاقتراحات التي قدمها فيما يخص اللغة مميزة حيث كانت أعماله تلقى إقبالا واسعا في العالم.

حيث تعد نظريته في اللغة، المعروفة بإسم الفعل التواصلي، بمثابة منطق جديد للعلوم الإجتماعية، منطق يستند إلى منجزات اللغة وفلسفة اللغة ، أي إلى المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة ونموذجه اللغوي، ذلك أنه يرى أن اللغة سواء من حيث هي موضوع علم خاص أو موضوع تفكير فلسفي عام تمكننا من احداث قطيعة من الأطروحات التقليدية[3].

يؤكد هابرماس على أن علوم الاجتماع بشكل خاص تبقى رهينة الاطروحات التقليدية ما لم يتم تجديدها بدراسة العلاقات البينية المبنية على اللغة الطبيعة ومن خلال فعل التواصل القائم بين أفراد الجماعات لذا رأى بتحويل علم الاجتماع لفرع من فروع علوم الاتصال .

فاللغة تشكل عند هابرماس نسقا من القواعد حيث تساعد على توليد تعبيرات لدرجة أن كل تعبير مصاغ بشكل صحيح يعتبر عنصر من عناصر اللغة ،ومن ثم فإن الذوات القادرة على استعمال هذه التعبيرات تشارك في عملية التواصل لأنها تستطيع التعبير وفهم الجمل والجواب عليها[4]، فاللغة تتشكل إذا من خلال التفاعل بين الذوات والحديث بين المشاركين في التفاعل يربطهم ببعضهم أي بالذوات الأخرى لذلك ترتبط نظرية التواصل عند هابرماس باللغة من خلال أفعال الكلام .

[1]- المرجع نفسه ، ص256.

[2]-الزواوي بغورة، فلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة لطباعة والنشر ،بيروت،ط1 ،2005 ،ص209.

[3]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[4]-عطيات ابو السعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين ،ص209.

إذا تلعب اللغة دورا أساسيا في نظرية الفعل التواصلي باعتبارها الوسيط الأساسي للتواصل بين الذوات وحجة هابرماس في هذا هو أن قدرتنا على التواصل لا توجد إلا في اللغة التي تتعلمها وتتحدث بها [1].

فاللغة لها دور أساسي في نظرية الفعل التواصلي إذ تعتبر أنها الوسيط بين الذوات المتفاعلة لأنها تملك الدور في القدرة على التواصل.

إن البعد اللغوي له أهمية في تحديد ماهية الإنسان، فهو يشكل من حيث هو ذات كما يقول "إميل بنفنست Emil Benveniste " في اللغة وباللغة إذ هي وحدها التي تؤسس في حقيقة الأمر مفهوم الأنا ضمن واقعها الذي هو واقع الوجود[2]،فأهمية اللغة تكمل في أن الإنسان أودع فيها عالم خاص به لجانب العالم الأخر فاللغة هي الوحيدة التي تشكل مفهوم الأنا أي الذات، إذ يرى هابرماس أن اللغة هي الممثل الرئيسي للتواصل بين الأفراد في ظل حديث مثالي غير مشوه أو اتصال بين الأفراد أو نظام الحوار المستند إلى أدلة وحجج عقلية[3].

اعتبر هابرماس إن اللغة هي الممثل التواصل بين الأفراد وذلك من خلال الحوار القائم على الحجج والأدلة.

كما أكد هابرماس أن فلسفة اللغة تعد الأساس الذي بني عليه نظريته على الفعل التواصلي بقوله : "أنا مدين لكل من النزاعات التداولية والتحليلية للنظرية اللغوية فإن غاية الفهم المتبادل مغروسة في الاتصال اللغوي"[4]، أكد هابرماس على ضرورة الاهتمام باللغة لأنهاالأساس الذي تبنى عليه عملية التواصل فاللغة عنده هي فعلا لغويا تبادليا من خلال العلاقات الاجتماعية وهذا قائم من خلال الجوانب التعبيرية بين الأفراد .

فاللغة عند هابرماس هي الوسيط الذي يحقق التفاهم حيث يؤكد على "إننا إذا أردناأن نفهم الفعل التواصلي علينا أن نفترض اللغة بوصفها الوسيط الذي يمكن أن يتحقق فيه نوع من التفاهم"[5]، تعتبر اللغة هي الوسيط الذي يتحقق من خلاله التفاهم في عملية التواصل .

[1]- المرجع نفسه ، ص108.

[2]-عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، مرجع سابق ص13.

[3]- ابو النور حمدي ابو النور حسن ،الأخلاق والتواصل ،ص131.

[4]- ،المرجع نفسه ، ص151.

[5]- المرجع نفسه ،ص151.

إن اللغة عند هابرماس تشكل نسقا من القواعد يساعد على توليد التعبيرات لدرجة أن كل تعبير مصاغ بشكل صحيح يعتبر عنصر من عناصر هذه اللغة، ومن ثمة فإن الذوات القادرة على استعمال هذه التعبيرات تشارك في عمليات التواصل لأنها تستطيع التعبير وفهم الجمل والجواب عنها[1]، فاللغة تشكل نسق يساعد على توليد التعبيرات ومن ثم تستطيع الذوات المشاركة في عملية التواصل .

فاللغة عند هابرماس تمثل عمق وتشكيل للخاصية الاجتماعية وتشمل المجتمعات الإنسانية كلها ،فاللغة هنا تمثل الخط الموجه الذي يجمع ويفصل معا بين الفردية والاجتماعية وهذا يؤسس الفعل التواصلي [2]، فاللغة لها دور في تأسيس الفعل التواصلي الذي هو عملية لغوية سلوكية.

لذا تعتبر اللغة وسيط التواصل يصلح للتفاهم بين أناس يرغبون في التواصل، فالعقل التواصلي يحدد نوع التفاعلات التي تنسق بواسطة أفعال لغوية[3]، فاللغة عبارة عن وسيط يستعمل كوسيلة للتواصل .

2. البراجماطيقا العامة عند هابرماس :

نستخلص من أعمال هابرماس عدة ملامح للبراجماتية العامة وهي صحة أساس الكلام والقدرة والأداء والصورة المعيارية لفعل الكلام والكليات والكلام المثالي وقد أشار إلى هذه الملامح محمود سيد أحمد في دراسة البراجماطيقا العامة عند هابرماس :

أ- **صحة أساس الكلام** : يؤكد هابرماس إن اللغة و الكلام يخضعان للتحليل الصوري وأن أي شخص يفعل بصورة تواصلية يجب عليه تأدية أي فعل من أفعال الكلام يثير دعاوي صحة عامة ،على أنه يجب على المتحدث أن يختار تعبيرا مفهوما حتى يفهمه المستمع قصد توصيل قضية صادقة وأن يكون المتحدث مخلص في حديثه باختيار لتعبير صحيح Right[4].

[1]-محمد نور الدين أفاية ،مرجع سابق ،ص198.

[2]-مطاع صفدي ، التداولي والتواصلي ،مجلة الفكر العربي المعاصر ،العدد46 ،بيروت ،مركز للإنماء القومي ،1987، ص ص10،11.

[3]-هابرماس ،العلاقة بين العالم ومظاهر عقلانية الفعل ،ترجمة جورج ابو صالح ، مجلة الفكر العربي المعاصر بيروت ،مركز الانماء العدد46 ،1987، ص31.

[4]-محمود سيد احمد البراجماطيقا عند هابرماس ، دار الثقافة للتوزيع والنشر القاهرة ،1993.

هنا يؤكد هابرماس أنه على أي شخص يقوم بعملية تواصلية أنه هناك شروط لا غنا عنها في التواصل وذلك بهدف تحقيق التفاهم بين الأفراد ،فالهدف الذي يركز عليه هابرماس هو التواصل الذي هو قدرة المتحدث على الفهم المتبادل.

وهذا جعل هابرماس يثير عدة نقاط منها تحديد البناء العام للكلام وتوضيح الخصائص الدلالية للجمل ، فهو يرى في حديثه عن اللغة والكلام "بأنه يجب على المتحدث أن يفي بالفروض العامة للتواصل، فالجملة يجب أن تعنى بالشروط التي تمكن من القدرة التواصلية [1]، أولى هابرماس أهمية بالغة للكلام في عملية التواصل وذلك من خلال اللغة المستعملة بين المتفاعلين ورأى أن الجملة يجب أن تتقيد بشروط للوصول إلى نشاط تواصلي ناجح.

ب- **مفهوم القدرة والأداء :**

يشير هابرماس في مقاله الشهير What Is Universal Pragmatic? الذي نشره عام 1976 والذي نشر في كتاب صديقه كارل اتوأبل* الذي يقود معه المدرسة النقدية إلى أن فحص اللغة والكلام لن يقتصر فقط على دراسة الجمل من الناحية الصوتية والتركيبية والدلالية ولا نكتفي بالجمل لصالح دراسة تداول الخطاب [2].

أحسن استنتاج نصل إليه مع أبل هو ذاك التمييز الذي قام به بين أخلاق تلين الفعل وتجعله قابل للمناقشة وبين أخلاق تضع المصالح الفردية في تصاد الأولى ومثل ما ارادها هابرماس تتوافق مع الأمر المطلق والثانية تتماشى مع الأمر الشرطي[3].

يرى هابرماس أنه يجب فحص اللغة و الكلام وعدم الاكتفاء بالجمل بصالح دراسة تداول الخطاب وذلك للانتقال إلى التواصل أي إلى الكفاية التواصلية.

[1]-ابو النور حمدي ابو النور حسن، الاخلاق والتواصل ، ص160,

*- كارل أوتو آبل: فيلسوف ومدرس فلسفة ألماني 1922، يعتبر من المجددين للفلسفة المتعالية الكانطية، وذلك عن طريق ربطها بلغة الإيصال، تأثر بلود فيش فيتجشتاين، سارتر، هابرماس، أدار جامعة غوته، في فرانك فورت.

[2]-حسن مصدق ، النظرية النقدية التواصلية ، المركز الثقافي العربي ، المغرب،ط1، 2005 ،ص127.

[3]- مالفي عبد القادر، القيم الأخلاقية وأخلاق المناقشة، مجلة الحوار الثقافي، دفاتر مخبرية، مجلة فصلية أكادمية محكمة، عدد ربيع وصيف 2012، ص 155.

واهتم تشومسكي بالفصل بين الكفاءة والأداء اللغوي ، فإن هابرماس طور مفهوم الكفاية اللغوية إلى مفهوم الكفاية التواصلية التي أصبحت بعد ذلك كفاية عن مجموع الكفاءات البشرية الموضوعة في سجل التاريخ اللغوي للبشرية والتي يصبح بمقتضى ذلك أمور تعلمها اكتسابها ميسر وسهل البلوغ [1].

ج- الصورة المعيارية لفعل الكلام :

يؤكد هابرماس على أن التميز الداخلي لمعيار فعل الكلام يعكس مستووين يجب أن يتحرك بينهما المتحدث والمستمع إذا أراد التواصل مع بعضهم يطلق على الأول البين الذاتية Intersubjestivity عليه يتواصل المتحدث مع المستمع، والثاني مستوى المضمون القضوي Propositional Content مستوى الموضوعات التي يتبادل المتحدث المستمع آراءهما حولها[2]. فالتواصل في اللغة عنده يتداخل المشتركون مع بعضهم البعض أي المتحدث والمستمع من اجل التواصل مع بعضهم .

د- الكليات البراجماطيقية :

يرى هابرماس أن القدرة على وضع جمل مصاغة جيدا من الناحية النحوية لأفعال الكلام تفترض أن المتحدثين يمتلكون سلسلة من الكليات البراجماطيقية PragematicUniversals التي تكون بين ذاتين ولديه القدرة على تكوين عناصر لغوية، هذه الكليات تكون عناصر خالصة تؤسس شروط التواصل لأنه بدون هذه الشروط لا نستطيع تحديد مكونات الكلام الممكن[3]، وضع هابرماس شروط لتأسيس التواصل منها الكليات البراجماطيقية التي تكون بين ذاتيين فبدونها لا نستطيع تحديد مكونات الكلام .

إن المقولات البراجماتيقية عند هابرماس لها مكونات عدة ومنها : الأسماء الشخصية ومشتقاتها،وتعبيرات الزمان والمكان وأسماء الإشارة والأفعال القصدية اللامؤدية والمؤدية التي تنقسم إلى أربعةأنواع، هي أفعال تواصلية وتقريرية وأفعال تمثيلية التي تهم بالتعبير عن مقاصد المتحدث، وأخيراالأفعال التنظيمية التي تشير للمعايير التي يمكن إتباعها[4]، هذه الأفعال والتصنيفات يمكن أن ترتبط وتنتج نموذج عام للتواصل اللغوي .

---

[1]- نفس المرجع ،ص127.

[2]-أبو النور حمدي أبو النور حسن ، الأخلاق والتواصل ،ص162.

[3]-محمد سيد احمد ،المرجع السابق، ص25.

[4]-ابو النور حمدي ابو النور حسن ، الأخلاق والتواصل ،ص163.

هـ- الكلام المثالي:

إن موقف الكلام المثالي ليس ظاهرة تجريبية وليس مجرد بناء،إنما هو افتراض مسبق لا يمكن الاستغناء عنه للخطاب وبالرغم من ذلك لم يستبعد هابرماس إمكان "إن يتحول الكلام والخطاب إلى حقيقة واقعية"

إن حديث هابرماس عن الكلام المثالي والكليات البراجماطيقية في إنهما افتراض مسبق لا يمكن الاستغناء عنهما، يمثل الجوانب المثالية لبرنامجه الفلسفي واللغوي ،لأن هابرماس كان يهدف لتغير شامل للمجتمع والوصول لمجتمع أفضل من خلال الشروط التي اعتبرها أساسية لكي تتم عملية التواصل.

يمكن الإشارة إلى أن هابرماس حيث حاول استخلاص أساس معياري من قاعدة الصحة العامة للكلام ،تعرض للنقد الشديد حيث توجه له اتهام بأنه نوع من المركزية الأوروبية،وكان رد هابرماس وهو أن هذا التواصل لا يصدق إلا على أعضاء المجتمعات الحديثة، وكان عليه الدفاع عن الوعي وظهر ذلك في كتابة التواصل وتقدم المجتمع"[1].

تحاكي هذه الشروط الأربعة المعقولية الحقيقة، الدقة أو المصداقية، الصدق بالنسبة لهابرماس "حالة مثالية للكلام" لا يعترض فيها التواصل تدخلات خارجية أو عقبات داخلة تمس بتنظيم التواصل، إذ تتطابق المناقشة العقلانية مع "الحالة المثالية للكلام" إلى الحد الذي تغدو معه شكلاً من أشكال التواصل الذي لا يمارس داخله أي تعسف أو عنف.[2]

أعطى هابرماس أربعة شروط لكي يعتبر تكامل الحالة المثالية في الكلام وهذه الشروط متمثلة في المعقولية والحقيقة والدقة والصدقة، فبوجودها يعتبر التواصل ذات حالة مثالية للكلام.

أشار هابرماس إلى أهمية اللغة في محاضرة تنصيبه عام 1965، حيث برهن على أن: "ما يرفعنا عن الطبيعة هو الشيء الوحيد الذي نعرف طبيعته،:ألا وهو اللغة فمن خلال بنيتها يتم افتراض الاستقلال الذاتي والمسؤولية لنا، فجملتنا الأولى تعبر شكل لا يشوبه الالتباس عن معنى كلي وغير مقيد، عن الإجماع"[3]. تلعب اللغة دور أساسيا إذن في نظرية هابرماس باعتبارها الوسيط بين الذوات فهي تشكل نسق وتساعد على توليد التعبيرات .

[1]- ابو النور حمدي ابو النور حسن ، الأخلاق والتواصل ، ص165.
[2]-نفس المرجع، ص262.
[3]- توم بوتمور ، مدرسة فرانكفورت، ص 112.

المبحث الثاني :النظرية التواصلية وإبعادها عند هابرماس

1. التواصل:

يقابله المصطلح الأجنبيContinuité وهو يعني فيما يعني الاستمرارية، ويتضمن مفهوما أخر يتلامس معه، وهو مفهوم الاتصال Communication[1]وهذا يعني أن التواصل هدفه هو الاستمرار الذي يقابله الاتصال.

والاتصال في الواقع كلمة حديثة تحتل منزلة كبرى في التفكير المعاصر، وهي تدل في إطار معنى عام جدا على ذاك التبادل بالإشعارات أو بالرسائل الذي يجري بين شخص وشخص، بين فرد وفرد أو بين جماعة وجماعة[2]،اعتبر التواصل أساس الاستمرارية لأنه أساس التواصل الذي يقوم على التبادل بالإشارات والرسائل.

حيث يقول هابرماس "لقد أصبح التواصل الصوت الوحيد القادر على توحيد عالم فقد كل مرجعياته لنتواصل بالأدوات والتقنيات التي تضعف التواصل نفسه، هذا هو جب التناقض الذي وضعنا فيه" حيث لجأت المجتمعات الحديثة إلى إعلاء القيمة المركزية للتواصل لمعالجة المشاكل، حيث يعاني الإنسان الحديث من الإحباط والعزلة[3] فالتواصل هو الصوت الوحيد الذي يستطيع توحيد العالم الذي فقد مرجعياته بسبب ضعف تقنياته فالتواصل هو الوسيلة التي تعالج المشاكل التي يعاني منها الإنسان في الإحباط والعزلة

فالتواصل يمثل" نشاط تبادلي وعلائقي، فإنه يتم بصورة شتى كالأصوات والإشارات والصور ،لكن يبقى التواصل اللغوي أرقى أنواع التواصل، ومن هنا تطرح الطبيعة الاتيقية للتواصل، من هنا نصل إلى بعث اتيقيا معينة للتواصل، مادامت رسائل التواصل المتبادلة بين المرسل والمتلق ، رسائل غير بريئة... بالمقدار نفسه أداة للصراع والخصام[4].

[1]- عمر مهيبل ، اشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة ، الدار العربية للعلوم ،منشورات الاختلاف المركز الثقافي الغربي ،ط1، 2005 ، ص16.

[2]- أبو النور حمدي ابو النور حسن، الأخلاق والتواصل ،ص243.

[3]- حسن مصدق ، النظرية النقدية التواصلية ،ص141.

[4]- علي عبود المحمداوي، مدرسة فرانكفورت النقدية، جدل التحرر والتواصل والاعتراف ، ابن النديم للنشر والتوزيع ،دار الروافد الثقافية ،ط1 ، بيروت لبنان ،2012، ص227.

فالتواصل هو نشاط تبادل الآراء والأفكار بين الأفراد عن طريق الحوار وفق الأصوات والإشارات والصور، ولهذا يدعونا هابرماس للعمل باتجاه التواصل بوصفه أساس الفهم في العالم الاجتماعي وبديلا للقسر، فالتواصل يعتبر كونية ترعى الحوار والتفاهم والحرية من الهيمنة.

فالتواصل أصله لاتيني، ظهر في اللغة الفرنسية في نصف القرن الرابع عشر ودل في تلك المرحلة على "الاشتراك مع" واستمر استخدامه إلى القرن الخامس عشر ليدل فعل المشاركة ،تقاسم اثنين أو أكثر ليتطور تدريجيا مع القرون التالية ليعني وسائل الاتصال سواء النقلية الإعلامية ، فعملية التواصل تعني عملية انتقال المعلومات من وضع فردي إلى وضع اجتماعي غير متبادل المعلومات عن طريق النقاش والمحاورة بين اثنين أو أكثر .

أراد هابرماس أن تكون العلاقات التواصلية بين الأفراد أي بين الفرد والأخر دائما على أساس اللغة التي شكلت عنده "نسقا من القواعد تساعد على توليد تعبيرات لدرجة أن كل تعبير مصاغ بشكل صحيح يعتبر عنصر من هذه اللغة، ومن ثم فالذوات القادرة على استعمال هذه التعبيرات تشارك في عمليات التواصل لأنها تستطيع التعبير وفهم الجمل والجواب عليها"[1]، شكلت العلاقات التواصلية عند هابرماس نسقا من القواعد يساعد على توليد تعبيرات من أجل التواصل بشكل صحيح، إذ أن المناقشة والإقناع والحوار هما هدف هذه النظرية وإن هدف التفاهم هو الوصول للاتفاق بين المتفاعلين المشاركين في الحوار.

فاللغة في نظر هابرماس حوار بين عقول المتحدثين، تهدف إلى إقامة جسر التفاهم وبلوغ التوافق بصدد القضايا المثارة بينهم من دون اللجوء للعنف، واللغة هنا جملة من القواعد تؤسس للإتصال والتواصل بين الناس وليس أصوات تلقي شذرا[2].

فاللغة هي الوسيلة التي من خلالها يتبلور التواصل الاجتماعي السليم لبلوغ التوافق، لأنها مصدر للإقناع والبرهان فغاية اللغة هي التواصل.

كما اعتبر فلاسفة اللغة أو الفعل اللغوي حلقة بين النفس والواقع أو ما اصطلح عليه لمدة طويلة بأن اللغة "مرآة" الفكر وذلك لفائدة رؤية أخرى تعتبر اللغة نظاما محايدا من القناعات يتيح إيصال الأخبار[3]،للغة دور وأهمية بالغة لدرجة اعتبار اللغة حلقة بين النفس والواقع.

[1]- زروخي الدراجي ، المذاهب الفلسفية الكبرى ،ص287.

[2]- حسن مصدق ، النظرية النقدية التواصلية ،ص18.

[3]- المرجع نفسه ،ص27.

حيث تعد اللغة بوصفها نظاما رمزيا من ضمن المنظومات الرمزية التي يسخرها العقل في استلهامه للخيال أو إدراكه المعقلن، وتلعب دورا فاعلا في فهم الأخر (القريب منه الغريب)والأشياء الممكنة (الحدسية منها والمحسوسة) في عوالمنا[1]، لو خلا التواصل من اللغة من خلال معانيه المرتبطة بما لا تنفي القصد والهدف من الاتصال.

يشير هابرماس إلى أهمية اللغة في الاتصالية أو الاتصال عندما يذهب بالقول إلى" أن الأفعال الاتصالية ممكن أن يتم فهمها بعملية دائرية التي بها يقوم الممثل بدور بين في دور واحد،وهذا ما يؤكده هابرماس من أهمية اللغة ودورها في العقلانية التواصلية[2] تحمل اللغة أهمية بالغة في تأسيس الاتصال والتواصل من خلال الفهم والتبادل الآراء عن طريق المحاورة.

فالعقل التواصلي هو مفهوم صاغه هابرماس لمحاولة تنمية البعد الموضوعي الإنساني للعقل ،ولذلك يطلق مفهوم العقل عند هابرماس العقل التواصلي comunicational reazon وهذا العقل لديه فاعلية تتجاوز العقل المتمركز حول الذات لأن غايته هي التواصل.

إن مفهوم العقل التواصلي عند هابرماس الهدف منه هو النشاط التواصلي حيث يؤكد هابرماس " على ضرورة الخروج من فلسفة الذات من خلال مخرج مهم وهو ما يسميه العقل التواصلي"[3]،وبهذا يحاول هابرماس الانتقال من العقل الأداتي إلى القول التواصلي من خلال المشاركة في التفاعل إذ يؤكد على أن العقل التواصلي كصيغة تركيبية لقضية الحداثة.

حيث كان من أهم المكونات الأساسية لمشروع هابرماس التواصلي علم الاجتماع وارتباطه بمشكلات العقلانية، ومن هنا كان اهتمامه بالعلماء الاجتماع أمثال ماكس فيبر **ودوركايم*** وتالكوت بارسونز،[4] كما أن

---

[1]- حسن مصدق ، النظرية النقدية التواصلية ،ص126.

[2]- أبو النور حمدي ابو النور حسن، يورجن هابرماس، الأخلاق والتواصل، ص255.

[3]- هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ص356.

*- **إميل دوركايم** 1858-1917) emil durkheim): فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن واحد، أبرز أثاره في تقسيم العمل الاجتماعي 1893، قواعد المنهج السيسيولوجي كان دوركايم يكره التأملات الفلسفية العقيمة والعلم لأجل العلم فقط ولذلك ابتغى أن يجعل من علم الاجتماع علما يسلط الضوء على افات المجتمع ويستعان به لحل بعض مشاكله عن طريق تحسين العلاقات بين الفرد والمجتمع، كما أولى عناية كبرى للمشاكل التربوية إذ أن التربية تلعب دورا أساسي في اندماج الفرد في المجتمع من اهم مؤلفاته الإنتحار 1897، الأشكال الأولية للحيات الدينية 1912.

[4]- عطيات أبو السعود، نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس ،مجلة أوراق فلسفية، العدد 10، 2004، القاهرة ،315.

هابرماس في تعريفه للفعل التواصلي انطلق من تعارضه مع الفعل الاستراتيجي بيد أن المعنى الذي استقر عليه واسع إذ يرى أن الفعل الاستراتيجي هو ذلك السلوك الذي نسلكه لكي نصل إلى غايتنا المحددة في تصوراتنا سلفا[1] اعتبر هابرماس التواصل أنه سلوك يسلكه الفرد للوصول إلى لغاية محدد.

فالنشاط التواصلي يقصد به هابرماس ذلك التفاعل المصاغ بواسطة الرموز وهو يخضع، ضرورة للمعايير الجاري بها العمل والتي تحدد مختلف أنماط السلوك المتبادلة، على أساس أن تكون مفهومة ومعترف بها، بالضرورة من طرف ذاتين فاعلتين على الأقل[2]،إن منطق النشاط التواصلي هو التفاعل الحاصل بين ذاتين فاعلتين على الاقل بواسطة الحوار حيث يرى أن "نظرية الفعل مؤهلة للجواب على هذه الاسئلة يجب أن تكون قادرة على الإشارة إلى الشروط التي يكون فيها الأخر قادرا على "ربط" أفعاله بأفعال الأنا[3] ، إن أساس فعل التواصل هو تعاقب الأفعال المكونة من طرف مختلف الفاعلين وذلك من خلال المناقشة والسلوك الحواري.

لذلك فإنه يسمى التواصلية "تلك الكفاءات التي يتفق فيها المشاركون عل تنسيق خططهم العملية بمهارات عقلية، وحين يحصل التوافق الذي يتحدد بالقياس إلى الاعتراف التذاوتي بإعادة الصلاحية[4]، يتميز النشاط التواصلي أن الأنساق البشرية من خلال أن كل فرد يحفز الاخر للفعل بطريقة مشتركة عن طريق الكلام.

2. مراحل الفعل التواصلي:

إن الفعل التواصلي حسب هابرماس يمر بثلاثة مراحل :

1) مرحلة التفاعل الذي تتوسطه رموز، وهذه المرحلة تقوم على فاعلتين : الأول القول والثاني الفعل وعن طريق الرمز التواصلي (القول) يتم التعبير عن رغبة في السلوك ما وعن طريق النية في تحقيق هذا القول (الفعل) يتم تلبية تلك الرغبة، ومن خلال هذه التبادلية يمكن أن يشكلان الحوار البيذاتي.

2) مرحلة الخطاب المتميز بالنسبة لمضمونه: في هذه المرحلة ينفصل القول عن الفعل فلا يمكن الاستناد إليهما بالنسبة لشخص الفاعل فقط، بل يدخل هنا موقف الشخص الملاحظ والمشارك في الحوار وهنا يمكن التبادل في التصورات بين المشاركين في الحوار,

[1]- عمر مهيبل ،اشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة ،ص362.

[2]-محمد نور الدين افاية ،الحداثة و لتواصل ،مرجع سابق ،ص182.

[3]- المرجع نفسه ،ص184.

[4]- المرجع نفسه ، ص195.

3) مرحلة الخطاب البرهاني (الحجاجي): هنا تتشكل مقتضيات الصلاحية التي ترتبط بين جانبين ،الأول أفعال اللغة المنجزة في المرحلة الأولى، الثاني معالجة افتراضات المعايير بحيث تكون قابلة لأن تكون شرعية أو غير شرعية[1].

ميز هابرماس بين ثلاثة مراحل لتكوين الفعل التواصلي وذلك من خلال تحول الفعل الرمزي إلى مرحلة الخطاب، من خلال الحوار والمناقشة مرورا إلى البرهنة من خلال الحجاج للإقناع، فاللغة هنا هي عماد الفهم والتواصل.

3. نظرية الفعل التواصلي:

في تناولنا للعقلانية التواصلية عند هابرماس نرى أنه أنطلق من مفهوم جديد للعقلانية وذلك من خلال إدانته للعقل الأداتي حيث أكد أهمية العقل باعتباره المنطلق الأساسي لأي نظرية في المجتمع فقد دخل البعد التواصلي في مفهوم العقلانية.

إذ يهدف هابرماس من خلال العقلانية التواصلية إلى وضع نظرية نقدية للمجتمع تقوم على أسس عقلانية فيقول هابرماس" أريد أن أوضح أنه من الممكن تطوير نظرية الحداثة باستخدام نظرية التواصلية، تملك الدقة التحليلية التي تحتاجها الظاهرة الاجتماعية المرضية التي يسميها الماركسيون بالتشيؤ،[2]يريد هابرماس من خلال نظريته الفعل التواصلي بوضع نظرية نقدية للمجتمع بأسس عقلانية.

فالعقل التواصلي هو المنظم للنشاط التواصلي سعيا وراء وضع شروط حقيقة لمجتمع ممكن، وهابرماس عندما نقد العقل الغربي لا يلتقي إجرائيا مع النقد الذي وضعة **نتشه***، لأن هذا النقد أسير فلسفة الذات، إنما هابرماس يريد كما يقول" عقل تواصلي يتجاوز الذات ليكون نسيجا من الذوات المتواصلة التي تتجاوز ذاتيتها[3]،نجد أن مفهوم الفعل التواصلي يمثل إسهاما أصيلا.

---

[1]- بورغن هابرماس ، بعد ماركس ،ترجمة محمد ميلاد، دار الحوار ،سوريا ،ص92، 93.

[2]-أبو النور حمدي أبو النور ، الأخلاق والتواصل،ص142.

*- **فريديريش نيتشه** 1900-1844) Friedrich Nietzsche) فيلسوف ألماني وناقد ثقافي، شاعر وباحث في اللاتينية واليونانية كان لعمله تأثير عميق على الفلسفة الغربية وتاريخ الفكر الحديث، كان أبرز الممهدين لعلم النفس وكان عالم لغويات متميزا كتب نصوصا وكتبا نقدية حول الدين والأخلاقية والنفعية والفلسفة المعاصرة المادية منها والمثالية الألمانية، كثيرا ما تفهم اعماله خطأ على أنها حامل أساسي لأفكار الرومانسية الفلسفية والعدمية ومعاداة السامية، لكنه يرفض هذه المقولات بشدة ويقول أنه ضد هذه الاتجاهات كلها يعد نيتشه إلهام المدراس الوجودية وما بعد الحداثة كان رافضا لتميز العنصري ومعاداة السامية والأديان المسيحية من مؤلفاته من حياتي 1858، عن الموسيقى 1858، نابليون الثالث 1862.

[3]-هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ص452.

حيث تعد نظرية هابرماس في اللغة المعروفة باسم الفعل التواصلي بمثابة منطق جديد للعلوم الاجتماعية، منطق يستند إلى منجزات فلسفة اللغة ذلك لأن هابرماس يرى أن اللغة تمكننا من احداث قطيعة مع الأطروحات التقليدية في العلوم الاجتماعية المتعلقة بالوعي والفعل والممارسة،[1]أراد هابرماس تحويل علم الاجتماع إلى فرع من فروع علوم الاتصال لأنه يجب أن يقوم علم الاجتماع على الفعل التواصلي.

يرى الزواوي بغورة أن الفعل التواصلي عند هابرماس لا يقوم على تبادل المعلومات ضمن سياق أو ظروف اجتماعية معينة إنما يقوم بفعل التأويل لما يحدث ويستطيع بلورة القواعد والآليات التي تسمح بالعيش الجماعي أو قيام الحياة الاجتماعية، ولذا فإن الفعل التواصلي يساهم في بناء العالم الاجتماعي[2]، الفعل التواصلي عند هابرماس يقوم بفعل التأويل لما يحدث في الحياة الاجتماعية من حوار عبر المناقشة، لأن الأفراد عندما يدخلون في علاقة مع بعضهم البعض في اطار الحياة المدنية، قصد تلبية حاجيات ممارستهم فإنهم لا يتبادلون سلعا وخدمات فقط بل يمارسون الحديث المتبادل بواسطة الأخبار، وعليه تتميز حياة المجتمع بتطور النقاش والمحادثة[3]،إن الغاية من الحوار هي تلبية حاجيات عن طريق الآراء المتبادلة بواسطة نقل الأخبار وتبادل الآراء الذي هو أساس النقاش.

أسس هابرماس نظريته الفلسفية وقد أطلق عليها اسم نظرية الفعل التواصلي التي تتخذ من النقد مرتكز لها وتستند إلى صياغة جديدة للعقلانية قائمة على التواصل بين الذوات الفاعلة في المجتمع، ويقدم هابرماس مفهوم الذي يقوم على الممارسة الاجتماعية التي تصاغ باللغة العادية وتقوم على أخلاقيات الحوار [4].

أكد هابرماس على أن نظريته عن الفعل التواصلي تتخذ من النقد مجالا لها، إلى فلسفة اللغة كما صرح في احدى مقابلاته :" أنا مدين لكل من النزعات التداولية والتحليلية لنظرية اللغوية... إن غاية الفهم المتبادل مغروسة في الاتصال اللغوي[5]، اعتبر هابرماس أن قيم الاتصال ذات الفهم المتبادل انها مغروسة في الاتصال اللغوي ،لان الفهم التواصلي يفترض اللغة لأنه من خلالها يتم تبادل الافكار من خلال التفاعل بينهما.

وقد صاغ هابرماس في مفهومه الجديد عن العقلانية نظرية في الفعل التواصلي تنشئ علاقة داخلية بين البراكسيسن (الممارسة) وبين العقلانية التي تتيح للمضمون المعياري المرتبط بالفاعلة الموجهة نحو الفهم المتبادل

[1]– الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة ، دار الطباعة والنشر ،بيروت،ط1، 2005،ص209.

[2]– المرجع نفسه ،ص210.

[3]– عبد العزيز ركح ،ما بعد الدولة ،الأمة عند يورغن هابرماس ،ط1،2011، منشورات الاختلاف ،الجزائر ص31.

[4]– اعطيات ابو السعود ،الحصاد الفلسفي ، مرجع سابق ،ص22.

[5]– المرجع نفسه ،ص105.

التواصل إلى مفهوم عقلانية تواصلية[1]، كانت نظرية هابرماس التواصلية تولى بالتحرر من فلسفة الوعي وترى العلاقة بين اللغة والفعل كالعلاقة بين الذات والموضوع، وذلك من خلال فاعلية الفهم المتبادل بين ذات وذات أخرى ويقر بإعطاء أولوية العقلانية للفعل التواصلي .

ويقصد هابرماس بالفعل التواصلي "ذلك التفاعل المصاغ بواسطة الرموز إنه يخضع ضرورة للمعايير المعمول بها، والتي تحدد تطلعات السلوكات المتبادلة، بحيث يتعين أن تكون مفهومة ومعترف بها من طرف شخصين فاعلين على الأقل"[2]، هذا التفاعل المصاغ بواسطة الرموز التي تعتمدها اللغة يضمن الوصول إلى التفاهم بين الأطراف المتحاورة لتحقيق الاندماج بين الأعضاء الفاعلة.

إن نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس، تعني فيما تعنيه صياغة نظرية لتواصل وبلورة القوانين التي تتحكم فيه، وهذا التواصل عبارة عن علاقة موازية حرة بين فئات المجتمع المتعددة ومتباينة العلاقة ،تتوخى بناء وعي حر لا تحكمه المؤسسات ، أو الأيديولوجيات المفروضة من قبل الأنظمة السياسية[3]،أن نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس تكون بصياغة القوانين من أجل التواصل الذي يعمق الترابط بين الأفراد وبين المجتمع.

4. شروط تحقيق التجربة التواصلية:

حدد هابرماس لتجربة التواصلية شروط لكي لا تكون عبارة عن تواصلا مشوها لأنه حوار للفاعل مع ذاته ومع ذوات فاعلة وأهم هذه الشروط:

-إن النشاط التواصلي لن يتم إلا من خلال علاقة تفاعل بين فردين أو أكثر داخل سياق العالم المعيش، ولذلك فمن حق كل شخص له القدرة على الكلام والفعل أن يشارك في التجربة التواصلية، على أن يعلن اعترافه بمزاعم ومطالب الصدق المتفق عليه[4]، النشاط التواصلي لا يتم خارج تفاعل بين فردين لأنه يتم بين ذاتين ويشترط فيه مطلب الصدق الذي هو أهم مطلب في التواصل.

-أن تتم عملية التواصل من خلال اللغة التي يتم بواسطتها علاقة بين المشاركين وفي التفاعل بين العالم الخارجي بينهم وبين الذوات الأخرى باعتبار اللغة الوسيط الأساسي في النشاط التواصلي، وعن طريقها يتم

[1]- المرجع نفسه ، ص107.

[2]- كمال بومنير ،النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ،ص118.

[3]-أبو النور حمدي أبو النور حسن ،الأخلاق والتواصل ،ص15.

[4]- عطيات أبو السعود ،الحصاد الفلسفي القرن العشرين، ص103.

الوصول إلى نوع من التفاهم بتوظيف الجمل والعبارات التي يتلفظ بها أعضاء الجماعة المشاركة في التواصل سواء متحديثين أو مستمعين[1]، تعتبر اللغة هي الوسيط الأساسي في النشاط التواصلي من خلال العبارات التي يتبادلها المتفاعلين كما أنها تعتبر الأساس الاتفاق بين الذوات.

-يفترض المشاركون في التواصل أن الحوار له قواعد أخلاقية التي من أهمها توفر ظروف تضمن الإجماع الذي لن يتم الوصول إليه إلا عن طريق قوة الأطروحة الأفضل، فالحوار يخضع لمعايير يمكن التبرير عليها بحجج وأدلة وبراهين كما يجب أن يكون الحوار الخالي من كل الضغوطات والقهر أي أن يكون بين ذوات حرة.

-أن يعبر كل مشارك في التواصل عن فراغهم الصدق والقدرة على تبريرها للمشاركة في عملية التفاهم المتبادل بأن:" **يختار تعابير معقولا لكي يتمكن المتكلم والمستمع من تفهم الواحد للآخر ،والمتكلم يجب أن تكون له نية التواصل لكي يتمكن المستمع من مشاطرة معرفته وعلى المتكلم أن يعبر عن مقاصده بصدق**"[2].على كل مشارك في عملية التواصل أن يعبر بصدق وأن تكون له القدرة على تبريرها موقفه في عملية الحوار التفاهم والتبادل وذلك باختيار تعبيرات معقولة تمكن المستمع من الفهم دون صعوبة.

-حدد هابرماس شروط التواصل والمطالب الأساسية المفترضة لتجربة التواصلية من أجل فهم التعبيرات، وهي نفس المطالب الأربعة التي استلزمتها افعال الكلام :"**قابلية التعبير اللغوي للفهم وحقيقة مضمونه أو صدق محتواه، ومصداقية و مقاصدية المعبر عنه أو إخلاصها، والمشروعية المعيارية للقول أو التعبير أي المطالبة بأن يكون صحيحا أو معياري يقرب المتكلم من المستمع**"[3]، حدد هابرماس شروط أساسية يجب أن تعتمد عليها التجربة التواصلية وهي شروط مهمة في الحوار و النقاش لأنها تضمن تحقيق نظرية الفعل التواصلي.

5. الإعلام ودوره في التواصل :

إن وسائل الإعلام هي بصورة أساسية حاملة لغة، أي مكبرات للتواصل اللغوي ،كما أنها لها ميزة إزاء الزمان والمكان إذ أنها تجعل التداول الخطاب مكثفا للغاية[4]،إن وسائل الإعلام لها دور في التواصل لأنها تحمل لغة الخطاب المكثف فالتواصل إنما يصاغ من متطلبات الإعلام والدعاية والعلاقات العامة، وبذلك فالمجال العام على الرغم من التشكيل بفاعليتين مع الدعاية والمهيمنة، فإنه يمتلك مقومات الفاعلية و الإمكانية لتفكير بعقلانية

[1]- عطيات أبو السعود ،الحصاد الفلسفي القرن العشرين، ص104.

[2]- محمد نور الدين أفاية ،الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ،ص198.

[3]- عطيات ابو السعود ،الحصاد الفلسفي القرن العشرين ،ص105.

[4]- علي عبود المحمداوي ،الاشكالية الفلسفية للحداثة ،مرجع سابق ،ص247.

المجتمع ومناقشتها ،بما فيها المشكلة السياسية[1]، يؤدي الإعلام دور مهم وأساسي في عملية التواصل ،فهو يعتبر عاملا إشهاري لمواضيع النقاش والحوار والنزاع داخل المجتمعات،كما أن الإعلام محفز لنشاط السياسي والاجتماعي.

يرى هابرماس أن فاعلية الإعلام تنبع من متطلبات استقلال النظام الإعلامي المنظم ذاتيا ، والشكل الصحيح للعلاقة بين المجال العام السياسي والمجتمع المدني ،وتلك الفاعلية تكشف بدورها عن أزمات الشرعية ونواقصها في النظام السياسي لذلك يجب التميز بين النظام الإعلامي وبيئته المنتجة له منجهة، والتميز بينه وبين التداخل الذي يقع عليه من قبل الاتساق السياسي والاقتصادية[2]، ويؤكد هابرماس أن فاعلية الإعلام في مجال الاتصال والتواصل تنجع من خلال النظام الإعلامي المنظم بين المجال السياسي والمجتمع والمجال الاقتصادي فوسائل الإعلام تشكل اهمية لدعم التواصل وفهم العالم الذي نعيش فيه وذلك من خلال حرية التعبير والنقاش.

6. التفاهم أساس التواصل:

إن التفاهم عند هابرماس يتحقق في اللغة ومن خلالها سواء تعلق الأمر بملفوظ لغوي أو بعل إنساني يقوم به الفرد داخل اطار قابل للتحليل ،لأنها تعبر عن تواصل لغوي عقلي، إذ التفاهم لا يكون إلا نتيجة للادعاءات للصلاحية التي تراعي قواعد المعقولية والحقيقة والدقة والصدق، وتستند إلى حجج والبراهين[3].

إن أساس تحقيق التفاهم هو اللغة التي يتعلم لبها الفرد لأنها تعبر عن التواصل لغوي بواسطة الحجج والبراهين حيث أن الهدف من التفاهم هو الوصول لنوع من الاتفاق من خلال الآراء المتبادلة بين الذوات.

ومن ثم فإن "التفاهم هو عملية التي من خلالها يتحقق اتفاق معين على أساس المفترض لادعاءات الصلاحيات المعترف بها باتفاق مشترك[4]، فالتفاهم هو عملية ونشاط يهدف لتحقيق اتفاق بواسطة المناقشة لتكامل التواصل المعرض للاختلال، لأن نتيجة التفاعل في النشاط التواصلية متوقفة على إمكانية المتفاعلين في التفاهم.

[1] – علي عبود المحمداوي ،الاشكالية الفلسفية للحداثة، ص247.
[2] – المرجع نفسه ، ص248،
[3] – محمد تور الدين افاية ،الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ، ص195.
[4] – المرجع نفسه ،ص197.

يقول هابرماس:" **عملية الوصول إلى الفهم هي عملية تحصيل الاتفاق على أساس قبلي يتمثل بادعاءات الصلاحية والتي تعترف بها الاطراف المشاركة وذلك بدء بأرضيات مشتركة لتفسيرات مسلم بها من المشاركين في الحوار، وبمجرد إثارة الشك بخصوص هذه المشاركات و الادعاءات الصلاحية الأربعة (في الحقيقة ، الصحة الصدق ،اللغوية)"**[1]

تمثل ادعاءات الصلاحية التي تخص الأطراف المشاركة ضرورة في عملية التواصل الهادف للفهم والنقاش والحوار لا يمكن التخلي عنها أو التملص عنها.

كما يؤكد هابرماس على أن الهدف من التفاهم هو التواصل والوصول إلى الاتفاق دون اكراه ،لأن التفاهم اساس الحوار الذي يولد الاتفاق بين المتفاعلين من خلال البرهان للإقناع "ان التفاهم هو العملية التي من خلالها يتحقق اتفاق معين على أساس مفترض لإدعاءات الصلاحية المعترف بها باتفاق مشترك[2] فالغاية من التواصل هي التفاهم الذي اعتبره هابرماس الأساس الأول الذي تأسست عليه نظرية الفعل التواصلي حيث يقول " إن أي تفاهم يتم التواصل إليه عن طريق التواصل له أساس عقلاني ذلك أن التفاهم لا يمكن فرضه من قبل أي من الطرفين أداتيا كان ذلك الفرض عن طريق التداخل في المواقف تدخلا مباشرا أم استراتيجيا عن طريق التأثير في قرار الخصم[3]، يولى اهتمام هابرماس الأهمية الكبرى للأفعال التواصلية على أساس عقلانية قائم على الحوار لأن له دور في تطوير الانسان وتحريره من أي استغلال.

إن هابرماس يؤكد على التفاهم والاتفاق والتواصل والاجماع، وتماشيا مع فهمه المعياري للحداثة، باعتبار العالم الحديث، بمختلف عوالمه المعيشة، يحتاج إلى أخلاق تواصلية بهدف خلق شروط معيارية للاتفاق على الحقيقة المبرهن عليها والمتحولة على الدوام[4].

إن التفاهم والاتفاق والتواصل مصطلحات يريد هابرماس أن تكون ملازمة للأخلاق التواصلية لكي تكون لهذه الأخلاق القدرة على التبرير والتفسير دون تجاوز حدود الاحترام.

---

[1]- زروق زينة، الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، إشراف وتحرير سمير بالكفيف، منشورات الاختلاف، الجزائر ،ط1، 2013 ، ص 494. علي عبود المحمداوي، السؤال الأخلاقي عند هابرماس، من إختراق الفعل القيمي إلى ايتيقا التحرر.

[2]- يورغن هابرماس ،الأخلاق والتواصل ،ص153.

[3]- ايان كريب ،النظرية الاجتماعية من سارتر إلى هابرماس ،مرجع سابق ،ص309,

[4]- محمد نور الدين افاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس،ص162.

فالأخلاق التواصلية عند هابرماس إذا من خلال التداوليات الكلية ،هي التي تخلق اطار عقلانيا للتفاهم بين مختلف مجالات المعرفة والتفاوض بين مصالح المتعددة[1].

فالأخلاق التواصلية هي أساس التفاهم حيث ان هابرماس يؤسس أخلاقيات التواصل على مبادئ عقلية تستمد بعض عناصرها من التداوليات الكلية التي تسمح بالتفكير في الاساس الذي يجعل من التلفظات وأفعال الكلام حقيقية ودقيقة[2]، يؤكد هابرماس على مبادئ العقلية في أخلاقيات التواصل ليكون النقاش متميز بالدقة والحقيقة عن طريق البراهين كما يذهب هابرماس أنه بصدد الفعل التواصلي تلزمنا هيرمينوطيقا النقدية الوصول للغاية مشتركة من هذه الفعل وهو الفهم المتبادل[3]،إن اساس الفعل التواصلي هو الهرمونوطيقا وذلك من خلال الفهم المتبادل بين المشتركين في الفعل التواصلي.

أعطى هابرماس اهمية للممارسة التواصلية في خلق التفاهم حيث " تسمح الممارسة التواصلية اليومية بخلق تفاهم بين الذوات موجه من طرف دواعي الصلاحية التي تتشكل في واقع الحل الوحيد لتعويض الخصومات المتنوعة التي عرفتها و تعرفها المعرفة الفلسفية، فليس هناك تجربة موضوعية بدون تواصل بين الذوات، كما أنه ليس هناك تواصل بين الذوات بدون أن تكون عالم موضوعي[4]، يرى هابرماس أن الممارسة التواصلية تسمح بخلق تفاهم بين الذوات، كما أنه وهي تشكل الحل الوحيد لتعويض الخصومات التي تعرفها المعرفة الفلسفية التي تعد النمط الأساسي للوصول لتفاعل تواصلي بين الذوات.

إن الغرض من التفاهم هو الوصول إلى التفاهم متبادل بين الطرفين المتشاركين في الحوار حيث يعتبر التفاهم هو العملية التي من خلالها يحقق اتفاق معين على أساس المفترض لادعاءات الصلاحية المعترف بها بإتفاق مشترك [5]، فالتفاهم يتم من خلال تبادل الآراء عن طريق الحجج والبراهين من أجل الوصول للإقناع إن غاية العقل التواصلي أن ينجح العقل الكامن فيه إلى التزاوج والتذاوت المؤدي إلى التفاهم وتداخل الحقائق، فالقول والفعل

[1]– محمد نور الدين افاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، ص167.

[2]– المرجع نفسه ،ص207.

[3]–عادل مصطفى ،فهم الفهم مدخل الهرمونوطيقا ،مرجع سابق ،ص202.

[4]– نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، ص 58.

[5]– الدراجي زروخي ،المذاهب الفلسفية الكبرى من السؤال المعرفة إلى سؤال القيم ، دار صبحي لطباعة والنشر، غرداية ،ط1 ،2005، ص 275.

مرتبطان، وليس القول هنا بمعنى التصوير والتمثيل والبيان، فالتواصل يشير إلى ما يفعله المتكلم بقوله،الغرض القصدي من ذلك هو التفاهم وبين الذوات[1]

إن تحقيق التفاهم بين الأطراف المشاركة في العملية التواصلية يقوم _كما قلنا_ على حدود التواصل بقوله" شروط أساسية لخصها ما نفريد فرانك Manfred Franck إن تحقيق الاتفاق بين المتحاورين يقتضي تصنيف الأفعال اللغوية الهادفة إلى التفاهم وهي التمثيلية، التعبيرية، التنظيمية[2]. فالهدف من التفاهم كما يؤكد هابرماس هو الوصول لنوع من الاتفاق بين الذوات المتحاورة إن التفاهم هو عملية التي من خلالها يتحقق اتفاق معين على أساس المفترض لادعاءات الصلاحية المعترف بها باتفاق مشترك[3].

فالتفاهم هو المجال الذي يتم في التنسيق بين الأفعال ومجاله اللغة ،فبالإضافة، إلى ادعاءات الصلاحية التي يقربها الفاعلون الحقيقة والدقة والصدق كان لزاما أن نبحث عن امكانية لتحقيق قواعد للتفاهم المتبادل بين المشاركين[4]، فالتفاهم مرتبط بترسيخ القواعد من أجل الاتفاق بين الأفراد المشاركين في التفاعل فالتفاهم هو عملية اقناع وتبرير الحجج من اجل الاتفاق مقبول.

7. ايتيقيا* النقاش والشروط الحقيقية لحوار حقيقي:

تشير الإيتيقيا إلى الجهد النظري المبذول لبلورة المبادئ التي تنظم علاقاتنا مع الأخرين، في الوقت الذي تحتفظ فيه الأخلاق moral بمهمتها التاريخية البدائية وهي وضع المبادئ موضع التطبيق والممارسة[5] يتبين موقف هابرماس ودوره من خلال تحديد الأطر والشروط لتحقيق حوار حقيقي من خلال تنظيم علاقاتنا مع الأخرين حيث اعتبر المناقشة شرط أساسي ولازم للحوار البيذاتي.

يجمع هابرماس "بين الأخلاق النظرية ومبدأ التواصل الشفاف، فالعقل التواصلي بوصفه قدرة بين الاشخاص عامة بحسب قواعد شاقة وحيادية، هو الذي يسود مقاربة هابرماس وهي ترجع إلى معايير التعميم

[1]– حسن مصدق ،النظرية النقدية التواصلية ،ص126.

[2]– كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ،ص119.

[3]– ابو النور حمدي أبو النور حسن ،يورغن هابرماس ،الأخلاق والتواصل ،153.

[4]– محمد نور الدين أفاية ،الحداثة والتواصل ،ص 212.

* ايتقيا ethics أو الأخلاق النظرية: هي الأطر التي تشكل المعيار الأخلاقي، وفرقها عن moral أن الأخيرة تعني بما هو واقعي وملموس من الممارسات أو النماذج الأخلاقية، وتسمى الأخلاق العملية.

[5]– زروق زينة ، الفلسفة الاخلاقية من السؤال المعنى إلى مأزق الاجراء ، إشراف وتحرير سمير بلكفيف ، الجزائر ،ص 492 .

الكلي للخطاب، والذي يتيح بلوغ حقل الأخلاق النظرية، يميز هابرماس بين الأخلاق النظرية والعملية التي تعتمد على قواعد شاقة وحيادية. حيث لا يتمثل مشروع إيتيقيا التواصل –حسب هابرماس– في الاقرار بحقيقة مطلقة ولا تسويغ شيء تم اختياره، بل يتمثل في السعي وراء الوصول إلى قرار أو اختيار أو تقويم من لدن متحاورين مناصفة من دون ضغط أو اكراه، إذ ليس من حق أن يفرض مواقفه على الأخرين[1]، إن الحوار هو أساس مشروع إيتيقيا التواصل وذلك يكون قائم على التسامح والصدق والدقة لتكامل مشروع إيتيقيا التواصل بعيدا عن القهر والتسلط .إن إيتيقيا المناقشة (ethique de la discussion) عند هابرماس تقوم على الحوار العقلاني والمحاجة والاقناع وفق الشروط التي بيناها سابقا ، وهو أمر مرفوق عنده بعدم دعوى امتلاك الحقيقة دون الاخرين[2]. حسب إيتيقيا المناقشة لا يمكن ادعاء صلاحيته معيار الا وفق حوار عقلاني قائم على الاقناع وذلك باتفاق كل الاشخاص المعنيين فيه باعتبارهم مشاركين في النقاش .

8. أخلاقيات التواصل والمناقشة:

يتحدث هابرماس عن أخلاقيات التواصل ويرى: " أن للتواصل معايير أخلاقية تنظم تبادل الأفكار وادعاءات الصلاحية من خلال المناقشة[3] " يرى هابرماس أن للتواصل أخلاقيات يجب الارتكاز عليها من خلال الحوار وتبادل الافكار في المناقشة.

حيث يؤكد هابرماس كما يظهر لنا على ضرورة ادخال الأخلاق في التواصل بين الناس، وذلك لأن النشاط التواصلي من زاوية التداوليات الصورية يساعد على ادراك الظواهر الأخلاقية داخل العالم المعيش[4] أكد هابرماس على ضرورة الاخلاق في القيام بالحوار والمناقشة التي هي من أساسيات التواصل .

وقد وضع هابرماس شروط للنقاش وهي: (الصدق، المسؤولية، الحقيقة) وهي بمثابة فرضيات وضع مثالي لجماعة تواصل غير محدودة تعتمد المناقشة العقلانية، يتمثل المتحاورون لها مسبقا لأنها تتوافر على الشروط المعيارية لكي يتمكنوا من تأسيس أخلاقيات التواصل، حيث تتمثل في قواعد اجرائية تهدف لإقامة علاقات تداولية بين التواصل وهي متمثلة في الصدق، والمسؤولية والحقيقة، فأي حوار يجب أن يكون قائم على الصدق

[1]– نفس المرجع ، نفس الصفحة

[2]– كمال بومنير ، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، ص 119 .

[3]– ابو النور حمدي ابو النور حسن ، الاخلاق والتواصل ، ص 262 .

[4]– المرجع نفسه ، ص 263 .

لأنه أساس الحوار والتواصل وأهم شيء أيضا في التواصل هو تحمل المسؤولية إلى جانب الحقيقة التي هي الهدف من كل نقاش.

فالأخلاق لدى هابرماس تقوم بدور رئيسي فهي تقوم بالفصل أو القطع بين الملفوظات التقييمية والملفوظات المعيارية، ولذلك نجد أن المجال القابل لتطبيق أخلاقيات ذات طبيعة أدبية، يتحدد في الوقت الذي يتعلق الأمر بمسائل عملية قابلة لأن تخضع للمناقشة العقلية من أجل الوصول للإجماع[1]. يرى هابرماس أن مبدأ التواصل لا يمكن أن يقوم بدون أخلاقيات المناقشة لأن الأخلاق تقوم بدور رئيسي متمثل في الفصل، حيث يؤسس هابرماس أخلاقيات التواصل على مبادئ عقلية، كما تشكل أخلاقيات المناقشة أسس الاخلاق بحسب ابل، ولا سيما لدى جماعة انسانية مفترضة تحتكم إلى البرهنة، ويتساوى أعضائها في الحقوق، وبهذا المعنى تشكل أخلاقيات المناقشة شروط امكان قبلي للبرهنة العقلانية عبر لعبها اللغوية [2]تشكل اخلاقيات المناقشة حسب ابل أسس الأخلاق لأن الأخلاق شرط تكوين البرهنة اللغوية.

يميز هابرماس في سياق حديثه عن المناقشة، بين المناقشة النظرية والعملية، وهو يرى أن شكل المناقشة النظرية يساعد على التحذير التدريجي وعلى "التأمل الذاتي للذات الفاعلة للمعرفة "، أما المناقشة العملية فهي تسعف كذلك على التحذير التدريجي وعلى التأمل الذاتي للذات المتداخلة في الفعل"[3]مهما كانت طبيعة المناقشة فإنها تستند على البرهان لتكون ذات معيار كافي لتبرير على الادعاءات الخطابية.

حيث يعتبر هابرماس أن مفتاح أخلاقيات المناقشة يتكون من افتراضين هما :

-الافتراض الأول متمثل في كون الادعاءات المعيارية للصلاحيات تتضمن معنى معرفيا يجوز التعامل معها بوصفها ادعاءات للحقيقة، والافتراض الثاني متمثل في ضرورة الدخول في مناقشة حقيقة لتأسيس المعايير والأوامر اعتمادا على العقل[4]، يرى هابرماس أن هناك افتراضين لتكوين أخلاقيات النقاش متمثل أولا في الادعاءات التي يقوم عليها النقاش، والثاني أن الادعاءات في ظل المناقشة تكون معتمدة على حجج و براهين عقلية.

[1]- حسن مصدق ، نظرة الفعل التواصلي ، ص151 .
[2]- ابو النور حمدي ابو النور حسن ، الاخلاق والتواصل ، ص 265 .
[3]- محمد نور الدين افاية ، الحداثة والتواصل ، مرجع سابق ، ص 205
[4]- المرجع نفسه ، ص 206

- كما نجد كارل أتو ابل يرى أن المناقشة الحجاجية، ليست لعبة قوامها اللغة jeu de langue يكون الانخراط فيها من عدمه سيان، بل أنها تعد عماد النشاط التواصلي بما هو ماهية أساسية ذاتية وبينذواتية في الوقت ذاته، وهو ما ينطبق حصرا على أنواع النشاط التي كان قد حددها هابرماس كالنشاط الخاص بالصدق أو الانضباط[1]. نرى بأن كارل اتو ابل الذي اتفق مع هابرماس في الكثير من النقاط أقر بأن المناقشة تعد عماد النشاط التواصلي لأنها تهدف إلى تأسيس شكل يسهل عمليه النقاش والحوار.

المبحث الثالث : التواصل والعالم المعيش :

1. مفهوم العالم المعيش :

إن مفهوم الفاعلة التواصلية مرتبط عند هابرماس بمسالة العالم المعيش، لأنه لا يمكن التفكير في هذا العالم إلا من خلال اللغة، فالعالم المعيش يشكل السياق الذي من خلاله تتم عمليات التفاهم بين ذوات تعود أصول فكرة "العالم المعيش"(vecu=le bens welt) التي يتبناها هابرماس إلى الفلسفة الظاهراتية التي تقوم على مقارنة هوسرل بين نوعين من الحقائق وبين نوعين من العوالم[2] ففكرة العالم المعيش تعني عالم الوجود الذي يحيا فيه الانسان بكل ما يقوم به من افعال وعلاقات اجتماعية .

إن فكرة العالم المعيش ليست من ابتكار هابرماس ولكن جذور في الفكر الفلسفي الاوروبي فهي تمتد إلى هوسرل وميرلوبونتي ولكن هابرماس يعيب عليهما أنه لي يكن لها هدف منهجي لديهما[3]، كانت جذور فكرة العالم المعيش عند هابرماس مستقاة من جذور الفكر الاوروبي، حيث كان هابرماس يحاول البحث من خلال هذا العالم المعيش عن بحثا تداوليا وشكليا.

[1]- كارل اتوابل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، ترجمة عمر مهيبل، المركز الثقافي العربي، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف ، 2005، ص9.

[2]-حسن مصدق، النظرية النقدية التواصلية ، ص 139 .

[3]-أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس، الاخلاق والتواصل، ص 144

لقد استخدم الفيلسوف الألماني" ادموند هوسرل" الذي أسس علم الظواهر وتتلمذ على يده مارتن هايدجر هذا المصطلح لأول مرة من أجل المقارنةبين الموقف الطبيعي ما قبل النظري لعامة الناس من العالم بالمنظور النظري، والتشيؤ، والحساب للعالم [1].

فعل هابرماس شيئا شبيها بهذا، فالعالم المعيش هو الاسم الذي يستخدمه للنطاقات غير الرسمية وغير المسوق لها من الحياة الاجتماعية : كالعائلة والاسرة، الثقافة، ووسائل الإعلام الجماهيرية، ومنظمات العمل الطوعي[2]، إن هذه النطاقات لنشاط والحياة الاجتماعية من خلال المعاملات التي تحدث في إطار الفعل التواصلي الذي يتشكل من خلال تشكل المعاني والتفاهمات المشتركة في العالم المعيش.

حيث يؤكد هابرماس بأنه رجع في تحليله للعالم المعيش إلى الفريد شوتزAlfred shutz حول بناءات العالم المعيش والتي بلورها توماس لوكمان[3]، وهما يذهبان حسب هابرماس بأنه " علي أن أفهم عالمي المعيش إلى الدرجة الضرورية حتى نستطيع ان نقوم بأنشطتنا ".

2. الفعل التواصلي والعالم المعيش:

عندما قدم هابرماس فكرة العالم المعيش قدمها باعتبارها مكملة لمفهوم العقل التواصلي لأنها مرتبطة ايضا بمفهوم المجتمع باعتبار أنها تشكل سياق الفعل الاجتماعي.

حاول هابرماس البحث عن الوظائف التي يقوم بها العقل التواصلي لإقامة عالم متنوع الأبنية، يتم ذلك من خلال العالم المعيش حيث يمكن الاستناد إلى هذه الوظائف لتوضيح الشروط الضرورية لعقلنة العالم المعيش ويؤدي هذا إلى أخر حدود البحوث النظرية التي " توجد بين المجتمع والعالم المعيش"[4]، من خلال بحث هابرماس فيما يخص الوظائف التي يقوم بها العقل التواصلي لإقامة عالم متنوع وصل إلى العالم المعيش الذي من خلاله حيث بالاستناد له تتوحد الشعوب للعالم المعيش العديد من الوظائف، فهو يوفر السياق للفعل; أي أنه يشمل مخزونا من الفرضيات المشتركة والمعارف المسبقة، ومن الأسباب المشتركة التي على أساسها قد يتوصل الفاعلون إلى اجماع،

[1]– جيمس جوردن فيليسون، يورغن هابرماس، مقدمة قصيرة جدا ، ترجمة احمد محمد الروبي، مراجعة ضياء وراد، مؤسسة هنداوي لتعليم الثقافة القاهرة، ط1، 2015، ص 68 .

[2]– جيمس جوردن فيليسون، يورغن هابرماس، مقدمة قصيرة جدا، ص 68.

[3]– فوزية شراد ، مذكرة فلسفة اللغة عند هابرماس ، ص 148.

[4]– أبو النور حمدي أبو النور حسن ، يورغن هابرماس ، الأخلاق والتواصل ، ص 145.

على حد قول هابرماس سيظل أثره خفيا، لكنه سيؤدي وظيفته، ألا وهي جعل التواصل إلى جماع ممكنا ومعتادا حقا، فهو قوة الإدماج الاجتماعي[1]. إن العالم المعيش يتميز بعدة وظائف من بينها أنه يوصل الفاعلون إلى اجماع ويحد من إمكانية حدوث الخلاف وسوء الفهم لذا فالعالم المعيش يدعم الفعل التواصلي.

فالعالم المعيش هو الوسط الذي يحدث فيه الاستنساخ الرمزي والثقافي للمجتمع، وهو الوسيلة التي يتم من خلالها توريث التقاليد ، مع أنها تمر عبر العدسات النافذة للتواصل والخطاب، فالعالم المعيش يعمل عمل الوسط في نقل كل أشكال المعرفة وتطويرها، المعرفة الفنية والعملية والعلمية والأخلاقية[2]، فالعالم المعيش هو الوسط وذلك راجع لدوره في نقل المعرفة.

يثبت هابرماس أن المجتمعات الحديثة تتألف من توازن هش بين النظام والعالم المعيش، لأن النظام مدمج في العالم المعيش ويعتمد عليه حقا، فالأولوية للعالم المعيش وفقا لهابرماس، فالعالم المعيش وسط مستقل وذاتي التجدد[3]، فالعالم المعيش وسط مستقل يجسد أنماط الفعل التواصلي، فالعالم المعيش حسب هابرماس هو الفضاء العمومي الذي يلتقي فيه المشاركون في التواصل أي المتفاعلون بغرض التواصل ومناقشة قضاياهم والوصول لتفاهم من خلال النقاش، ففي تعريفه الدقيق للفضاء العمومي يقول هابرماس: "**يمكن أن يفهم البورجوازي أولا وقبل كل شيء باعتباره مجالا لمجموع من الناس الخاصين المجتمعين في شكل جمهور وهؤلاء الناس يطالبون بهذا المجال المقنن من طرف السلطة**"[4]، فالعالم المعيش عند هابرماس يمثل أرضية الفعل التواصلي الذي بدوره يساهم في بناء العالم الاجتماعي المعيش.

إن مساهمة الفعل التواصلي في بناء العالم من جهته يمكن رصدها من خلال تحديد ثلاث وظائف أساسية للفعل التواصلي وسط العالم المعيش الذي يقسمه هابرماس إلى: "ثقافة ومجتمع وشخص إنساني" [5] وبناء عليه فإن:

[1]- جيمس جوردن فينليسون، يورغن هابرماس ، ص 69.

[2]- المرجع نفسه، ص69.

[3]- المرجع نفسه ، ص 71

[4]- رشيدة العلوي، ، الفضاء العمومي من هابرماس إلى نانسي فريزر، مجلة دلتانون سوريا العدد الثاني، يناير 2015 .

[5]- هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، مصدر سابق، ص 525

- **على مستوى الثقافة :**

النشاط التواصلي يمكن من نقل وتحديد المعرفة المكونة للثقافة التي هي حسب هابرماس:" تلك المعرفة المهيأة والجاهزة التي تستمد منها الذوات الفاعلة في النشاط التواصلي التأويلات ذات الطابع الاجتماعي(...)، وذلك بالبحث عن التفاهم حول شيء معين موجود في العالم" [1]، فالثقافة هي مرجعية الأفراد نحو التفاهم والحوار الذي يدور بينهم فاللغة المشتركة بين المتحاورين تسمح للعالم المعيش بالتطور.

- **على مستوى المجتمع :**

يعمل النشاط التواصلي على تنسيق الأفعال وتنظيم أساليب الحوار والنقاش بين افراد المجتمع الذي عرفه هابرماس بقوله:" أسمى مجتمعا (بالمعنى الضيق لمكون عالم معيش) النظم الشرعية، حيث تستمد ذوات الفاعلية التواصلية تضامنا منا.... طريق عقد علاقات بيذاتية "[2] فالمجتمع هو الوسط الذي يخلق من خلاله نمط الحوار والتفاهم والتكافل بين الأفراد من أجل التواصل والتفاهم وذلك من خلال المناقشة العقلانية المتميزة بالحجج والبراهين والمصداقية .

التداولية الكونية ونظرية أفعال الكلام:

يدرج هابرماس شروط الفعل التواصلي(agir communicationel) في منظومة تجريبية، يطلق عليها إسم التداولية الكونية (pragmatique universelle) فهي كونية لأنها تتصف معايير كونية وشاملة وهي لتداولية بمعنى ما يتداوله ويستعمله المتفاعلون في نشاطهم الاجتماعي[3]،أدرج هابرماس شروط يقوم عليها الفعل التواصلي التي تدعي التداولية الكونية لأنها تتصف بمعايير شاملة.

استطاع هابرماس أن يكشف المبررات التفصيلية التي يمكن أن تسمح بها عملية التفاعل الاجتماعي، من خلال ما يسميه التداولية الكونية التي تؤكد بأن القواعد اللغوية المتضمنة في النشاط التواصلي طابع معياري ، وهذا بقدر ما تضبط فيه شروط التفاهم الخالق من الاكراه بين البشر[4]،إن النشاط التواصلي له قدرة على التبرير

[1]- فوزية شراد، مذكرة فلسفة اللغة عند هابرماس ، ص 153

[2]- المرجع نفسه ، ص 154

[3]- حسن مصدق، النظرية النقدية التواصلية، ص 125

[4]- كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ص159

والتفسير من خلال اللغة التي هي شرط التفاهم الذي يكون ضمن التفاعل الاجتماعي لذلك يدعي هابرماس" أن نظرية التداوليات الكونية يمكن أن تقدم عناصر هذه الوجهة من النظر باعتبار أنها تكون نوعا من التواصل يمكن أن يحدث داخلها الاعتراف المؤسس على إدعاءات الصدق والقادرة على البرهنة على مواقفها داخل سياق تواصلي محدد[1]،كما اعتبر هابرماس هذه التداولية نوع من التواصل يمكن من التفاهم حيث يحدد الاستعمال اللغوي التداول (pragmatique) كمستوى ثالث في اللغة ويهتم بصدق أو بطلان ما يقوله المتكلم وبمتحن مصداقية ما يتلفظ به، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الاهتمام بالعلاقة بين المعنى والصدق وضبط آلية العلاقة التي يضعها المتكلم تحت تصرفه في تسمية الاشياء بمسمياتها واستعماله للغة[2].

ويعرف كل من فرنسوا ريكاناتي وان ماري ديلر (françoisReconati et Anne Marie diller) التداولية بالمبحث الذي يدرس استخدام اللغة داخل الخطابات والسمات المميزة التي تؤسس وجهته الخطابية في صلب اللغة [3]، فالتداولية عبارة عن إيجاد للقوانين الكلية للاستعمال اللغوي.

[1]- أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل ، ص ص 261 – 262

[2]- حسن مصدق، النظرية النقدية التواصلية ، ص 129

[3]- أودينة سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغنهابرماس، مذكرة تخرج لنيل درجة ماجستير في الفلسفة، جامعة منتوري، 2008 – 2009 ،ص 16

استنتاجات الفصل الثالث:

-أولى هابرماس اهتمام بالغ باللغة كوسيط في عملية التواصل حيث أن براديغم فلسفة اللغة يدعو الفكر المعاصر إلى تحويل وتغير التصورات الكلاسيكية القديمة أي التقليدية تحويل جذري من خلال تصورات العقلانية وحقيقية قائمة على مبدأ الأخلاق ،فاللغة هي الوسيط الذي يتحقق من خلال التفاهم .

-التواصل عند هابرماس ليس مجرد عملية تبادل الخطابات بل أنه نوع من التبادل اللغوي فالتجربة التواصلية تأتي من العلاقة التفاعلية التي تربط شخصين على الأقل داخل العالم المعاش في إطار التوافق اللغوي، فالهدف الأساسي لهابرماس هو تأسيس مشروع يتفرع نحو اتجاهات متنوعة (العلاقات الاجتماعية والاتصال الرمزي)،لأنه من خلال التواصل تقديم حلول على المشاكل الاجتماعية بطريقة حوارية بعيدة عن التسلط.

-الهدف من التفاهم هو الوصول إلى نوع من الاتفاق بين المتفاعلين المشاركين في النشاط التواصلي، فالاتفاق يؤدي إلى التذاوت المشترك وإلى التفاهم المتبادل القائم على الحقيقة والدقة والصدق فهما شرط العملية التواصلية ،فالتفاهم هو العملية التي من خلالها يتحقق الاتفاق.

-إن النقاش هو أساس التواصل وأن التواصل عند هابرماس غدا يكون الفاعلية الوحيدة التي بإمكانها اعادة ربط الصلة بين اطراف هذا العالم.

-اعتبر هابرماس أن فكرة المعيش مكملة لمفهوم العقل التواصلي لأنها مرتبطة بمفهوم المجتمع فالعالم المعيش هو الوسيلة التي من خلالها توريث التقاليد وذلك من خلال تفاعل المجتمعات عن طريق نقل المعارف.

-أدرج هابرماس شروط الفعل التواصلي في منظومة أطلق عليها اسم التداولية الكونية التي يقصد من خلالها أنها شاملة ومتداولة لاستعمال المتفاعلون لها في نشاطهم الاجتماعي.

الخاتمة:

نستخلص في خاتمة هذا البحث أن هابرماس قد استطاع تطوير الحياة من خلال النظرية النقدية لأنه عمل على تجديد الثقة وقد كان الهدف من هو بناء نظرية خاصة بالمجتمع وما دام كل بناء يحتاج إلى أساس صلب ومتين عليه فأقام بناء المجتمع على أساس التواصل، أي العلاقة البيذاتية القائمة بين الأنا والأخر البعيدة عن الصراع والإكراه.

وقد كانت العقلانية التواصلية ثمرة رحلة فكرية طويلة وخصبة ، فهي من جهة رحلة فلسفية، ومن جهة أخرى رحلة علمية اجتماعية ولسانية، وذلك واضح من خلال منطلقاته المختلفة التي من بينها كانط، ماكس فيبر وغيرهم من الفلاسفة الذين استفاد بهم كأمثال فيخته وأبل وأيضا علماء نفس وعلم اجتماع، وقد شملت العقلانية التواصلية على العقل العلمي حيث سعى هابرماس من خلال مشروعه العقلانية التواصلية لإنهاء أزمة العقل الغربي، بواسطة إدخال معايير مستقاة من فعل التواصل بين البشر، فقد كانت نظرية الفعل التواصلي نظرية اجتماعية وهذا وفق القيام على الشروط التي حددها هابرماس، والتي رأى أنها ضرورية في الفعل التواصلي، حيث يترتب على إعطاء فعل التواصل على العقلانية التي هي النسق الاجتماعي الديمقراطي الذي يشمل الجميع، والذي هدفه الوصول لتفاهم وليس الهيمنة، وكذلك القيام على نظام أخلاقي وفق نقاش حر، لأن التواصل ليس هدفا نهائيا إنما هو إجراء تعاوني لتوليد الحقيقة، إما عن طريق استدلال أخلاقي أو نقاش عمومي.

كما انه من أهم الأفكار المحورية لمشروع هابرماس هي تأسيس الديمقراطية على أساس جماعة متواصلة خالية من أي هيمنة في أفق فضاء عمومي في ظله يتأسس الرأي العم والإدارة السياسية العامة للمواطنين في المجتمع الديمقراطي، الذي يلعب فيه التشاور دور مركزيا وهذا بدوره ما يؤدي لتعاقد الاجتماعي، هكذا نلاحظ التحول الكبير الذي حصل في فلسفة التواصل لدى هابرماس من تأسيس التواصل على أساس اللغة وأخلاقيات المناقشة إلى تأسيسه سياسيا.

وعلى الرغم من اختلاف المفسرين، اختلافا كبيرا في أراءهم حول مشروع هابرماس ومدى قدرته على الصمود في وجه الشكوك الكثيرة التي تثار حوله، إلا أن هناك شيئا ما يتفق عليه المعلقون وهو أن هابرماس قد حاول على الدوام أن يجمع بين الاهتمامات الفلسفية، ويكون أحد الفلاسفة القليلين المستمسكين بالتراث النقدي الذي يقوم على تأسيس فلسفة كونية.

ورغم التحولات الكبرى على صعيد الفلسفة والأعمال التي قدمها هابرماس من خلال مشروعه الفلسفي، إلا أنه يرى الحداثة مشروع لم يكتمل بعد، وذلك لوجود مشكلات لم تجد لها حلول.

وبالرغم من هذه المجهودات التي قام بها هابرماس إلا أن مشروعه الفلسفي لم يخل من الانتقادات التي وجهها له الفلاسفة، حيث يعتبر الفيلسوف الفرنسي المعاصر جون فرنسوا ليوطار Francois Autar من المعارضين، فقد عارض مفهوم الاجماع لدى هابرماس معتقد أن جوهر الأمور هو الاختلاف والنزاع، ولا إبداع بدونهما متهما في نفس الوقت هابرماس بأنه يدافع عن مشروع الحداثة المؤسس على فكر الأنوار ويسعى إلى بناء خطاب فلسفي يتخذ من الاجماع هدفا له، حيث يرى ليوطار أن خطاب الحداثة وجوهر الإبداع والتطور هو الاختلاف وليس الإجماع.

وكما يرى كارل أتو آبل أن التواصل عند هابرماس ما هو إلا لغة وهذا ما وجه له النقد فيه، ونجد أيضا أكسل هونيث الذي انتقد هابرماس في أن النموذج التواصلي عاجز عن تفسير التجربة المعاشة للأفراد بصورة شاملة أو كلية، فاللغة لا تعبر الكل عن الكل وإنما هي فقط جانب من جوانب التفاعل الاجتماعي.

ويرى أيضا أن هابرماس قد تجاهل الطابع الصراعي ودوره الفعال داخل التشكيلات الاجتماعية، فهو الذي يحدد الحياة الأخلاقية والاجتماعية معا، فأراد تأسيس نظرية جديدة للفلسفة الاجتماعية لا تتوقف عند التواصل المبني على أساس لغوي في نطاق ضيق وإنما تتجاوز ذلك إلى أفق معياري جديد للاعتراف المتبادل.

ونجد بين الناقدين أيضا بيتر سلوتردايك الذي كان بسبب تحمس هابرماس لفكرة حداثة العقل النقدي التي تتأتى ممن إدراك حدود النقد ورفض ادعاء العقل بوثوقية الحقائق التي تتجاوز حيز التجربة.

وكان تصوير بيتر سولوترداياك Peter Solotrdaek حول النظرية النقدية جاء من نزعة هابرماس المثالية العقلانية التي تدعو إلى التصالح مع الواقع وفق معايير تواصلية استشمارية للأبعاد العقلانية في مختلف المجالات مع محاولة عقلنة ما هو خارج عن البعد في المجالات الأخرى التي من أبرزها التكنولوجيا وفق النظرية التواصلية هذا بحسبه ينطوي على طموح صعب المنال.

وفي الأخير نستنتج أن العقلانية التواصلية التي اسس لها هابرماس وحدد لقيامها شروط ورغم كل هذا إلا أن العقلانية التواصلية غير ممكنة التحقيق، بحيث لا يمكن تجسيدها في المجتمعات لأن الإنسان بطبعه يراعي مصالحه الخاصة فلا يمكن عن مصلحته لصالح الأخر.

فهرس المصادر والمراجع

المصادر:

المصادر باللغة العربية

1- يروغن هابرماس، بعد ماركس، ترجمة محمد ميلاد، ط1، 2002، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية.

2- يورغن هابرماس: اتيقيا المناقشة ومسألة الحقيقة، ترجمة وتقديم عمر مهيبل، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الإختلاف، ط1، 2010.

3- يورغن هابرماس، العلم والتقنية كإيديولوجيا، ترجمة حسن صقر، منشورات الجمل،ط1، ألمانيا، 2002.

4- يورغن هابرماس، الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، ترجمة نظر جاهل، ط1، 1995، المركز الثقافي العربي، بيروت.

5- يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990.

6- يورغن هابرماس، المعرفة والمصلحة، ترجمة حسن صقر، مراجعة ابراهيم الحيدري، منشورات الجميل، ط1، 2001.

7- يورغن هابرمس، جدلية العلمنة العقل والدين، تقديم حميد لشهب، جداول للنشر والتوزيع، الحمراء شارع الكويت بناية البركة، ط1، 2013.

المصادر باللغة الاجنبية

1- Habremas: l'aveer de la natuer humaine, vers un eugenisme le beral? Trad par bouchindhomme, ed Gallimard, paris, 2001.

2- Habermas: Vérité et justification, tradpar, j.rainer, rochlitz, ed Gollimard, paris, 2001.

المراجع:

1- أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2004.

2- أسطو طالس، كتاب النفس، ترجمة فؤاد الأهواني، راجعه عن اليونان جرج شحاتة قنواتي، عيسى البايلي الجلي، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر، ط2، 1949.

3- ألان تورين، نقد الحداثة، ترجمة أنور مغيث، المجلس العلى للثقافة، 1997.

4- ألف هاو، النظرية النقدية مدرسة فرانك فورت، ترجمة ثائر أديب، ط1، 2010، دار الحديث للنشر.

5- بليمان عبد القادر، الأسس العقلية للسياسة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

6- توم بوتمور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، مراجعة محمد حافظ دياب، داراو النشر، ط2، 2004.

7- جيمس جوردن فنلسون، يورغن هابرماس، مقدمة قصيرة جدا، ترجمة أحمد محمد الدوبي، مراجعة ضياء، مؤسسة هنداوي لتعليم الثقافة، ط1، 2015.

8- حسن حماد، النظرية النقدية عند ماركيوز، دار التنوير للطباعة، بيروت، لبنان،ط1، 1993.

9- حسن مصدق، النظرية النقدية التواصلية، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005.

10- حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

11- الدراجي زروخي، المذاهب الفلسفية الكبرى من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، دار صبحي للطباعة والنشر، ط1، 2005، غرداية.

12- زروق زينة، الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، إشراف وتحرير سمير بالكفيف، الجزائر، 2012.

13- الزواوي باغورة، فلسفة اللغو، نقد المعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة لطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

14- ستيفان مابر، هابرماس والسوسيولوجيا، ترجمة وتقديم وتقديم محمد حديدي، منشورات الإختلاف، دار الأيمان، الرباط، ط1، 2012.

15- عاد مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادمير، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

16- عبد العزيز ركح، ما بعد الدولة، الأمة عند يورغن هابرماس، ترجمة عمر مهيبل، المركز الثقافي العربي، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، 2005.

17- عبد الغاني بارة، الهرمنطيقا والفلسفة نحو مشروع تأويلي، الدار العربية للعلوم، ط1، 2008.

18- عطيات أبو سعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين، مكتبة الإسكندرية، منشأة المعارف، جلال حزي وشركائه.

19- على عبود المحمداوي، مدرسة فرانكفورت النقدية، جدل التحرر والواصل والاعتراف، ابن النديم لنشر والتوزيع، درا روافد، دار المان، الرباط، ط1، 2012.

20- علي عبود المحمداوي، الفلسفة السياسية المعاصرة، من شموليات إلى السرديات الصغرى، ابن نديم للنشر والتوزيع الثقافية ناشرون، دار الروافد للثقافة ناشرون، ط1، 2012.

21- علي عبود محمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة، منشورات الإختلاف، دار الأمان، ط1، 2010.

22- عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، الدار العربية للعلوم، منشورات الإختلاف، المركز الثقافي الغربي، ط1، 2005.

23- فتحي التريكي وعبد الوهاب المسيري، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، سوريا، ط1، 2003.

24- فتحي التريكي، رشيدة التريكي، فلسفة الحداثة، مركز الإنماء القومي، لبنان، رأس بيروت، المنارة، 1992.

25- فيل سليتر، مدرسة فرانكفورت، نشأتها ومغزاها وجهة نظر ماركسية، ترجمة خليل كلفت، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، ط2.

26- كارل أوتوابل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، ترجمة عمر مهيبل، المركز الثقافي العربي، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، 2005.

27- كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانك فورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، 2010، ط1.

28- كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، لبنان مكتبة ناشرون، ط1.

29- محمد علي الكردي، من الوجودية إلى التفكيكية، دراسات في الفكر الفلسفي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998.

30- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، في الفلسفة النقدية المعاصرة، نموذج هابرماس، أفريقيا الشرق، بيروت، ط2.

31- مطاع الصفدي، نقد العقل الغربي، الحداثة ومابعد الحداثة، مركز الإنماء القومي العربي، بيروت، 1990.

32- هربرتماركيوز، العقل والثورة هيغل ونشأة النظرية الاجتماعية، ترجمة الدكتور فؤاد زكريا، الهيئة المصرية لتأليف والنشر، 1960.

المجلات:

1- أيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسن غلوم، مراجعة محمد عصفور، عالم المعرفة، العدد 244، أفريل 1999، الكويت.

2- رمضان بسطاوي، الأسس الفلسفية لنظرية أدورنو الجمالية، مجلة أوراق فلسفية، القاهرة، العدد 07، ج2، 2002.

3- ريان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسن غلوم، محمد عصفور، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني والثقافة الوطنية، والفنون والأدب، الكويت، 1978، العدد 24.

4- سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، يونيو 1995، العدد 198.

5- عز العرب الحكيم بناني، المعرفة نحو عقلانية إجرائية، عالم الفكر، العدد 2، المجلد 41، ديسمبر 2012

6- عطيات أبو السعود، نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس، مجلة أوراق فلسفية، العدد 10، 2004.

7- مطاع الصفدي، التداولية والتواصلية، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 46، بيروت، مركز الإنماء القومي، 1987.

8- مطاع الصفدي، العرب والفكر العالمي، مجلة النصوص الفكرية والإبداعية والنقدية، بيروت، العدد 23، 24، 2008

9- مقورة جلول، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مجلة دورية أكاديمية، تصدر عن كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، العدد 16، السداسي الأول، 2013.

10- هابرماس، العقلانية بين العالم ومظاهر عقلانية الفعل، ترجمة جورج أبو صلاح، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، مركز الإنماء، العدد 46، 1987.

11- يورغن هابرماس، الحداثة مشروع ناقص، ترجمة بسام بركة، مجلة الفكر العربي، مجلة العلوم الإنسانية والحضارية، مركز الإنماء القومي، العربي، لبنان، 1996.

أطروحات ومذكرات:

1- فوزية شراد، مذكرة فلسفة اللغة عند هابرماس، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في الفلسفة، 2010-2009.

2- أودينة سليم، التداولية الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008-2009.

المعاجم:

1- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بروت، لبنان، 1955.

2- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

3- Anre la londe, vocabulairlechxique et ertique de la philosseunversitaire de la frace 2 enneedition, paris, 1998.

فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحة
أفرام نعوم تشومسكي Avram Noam Chomsky	ص 57-62
إميل دوركايم Emile Durkheim	ص 66
باروخ سبينوزا Baruch Spinoza	ص 9-26
رينيه ديكارت René Descartes	ص 25
غوتفريد لايبنتز Gottfried Wilhelm Leibniz	ص 26
فريديريش نيتشه Friedrich Nietzsche	ص 2-68
فيرناند دوسوسور Fernand Dosusur	ص 26
كارل بوبر Karl Popper	ص 26-61
لوفيديق فتجغنشتاين Pour Ovidik Vtjgnstein	ص 25-26
ماكس فيبر Max Weber	ص 27
ماكس هوركهايمر Max Horkheimer	ص 13-14-28-29-31-
موريس ميرلوبونتي Maurice Merleau- Ponty	ص 56
هربرت ماركيوز Herbert Marcuse	ص 9-16-18-27-28-29- 49-53

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الاهداء	
شكر وتقدير	
مقدمة	**أ–هـ**
الفصل الأول **ارهاصات ودواعي تأسيس فلسفة هابرماس**	
تمهيد	**07**
المبحث الأول: التعريف بهابرماس (أعماله وأهم مؤلفاته)	**08**
– مرحل فكره	**10**
– منطلقاته الفلسفية	**10**
– المنطلقات السوسيولوجية	**11**
– الفلاسفة الذين تأثر بهم	**12**
المبحث الثاني: مدرسة فرانكفورت ومكانة هابرماس	**13**
– التعريف بالمدرسة فرانكفورت	**13**
– القضايا الرئيسية عند مدرسة فرانكفورت (النظرية والممارسة، مقولة التنبؤ والاغتراب، العقل الاداري أو العقلانية التقنية، المعرفة والمصلحة)	**14**
– الخلفية التاريخية لمدرسة فرانكفورت	**18**
المبحث الثالث: هابرماس والنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت	**19**
– النظرية النقدية عند هابرماس	**19**
– أهم مبادئ النظرية النقدية (العقل الدياليكتيكي والسياسة)	**20**
● نقد النظرية والنزعة العلمية.	**20**
● نقد التقنية والنزعة التكنوقراطية.	**21**
– تشخيص هابرماس لأسباب فشل النظرية النقدية واعادة بعثها من جديد.	**22**

استنتاج الفصل الأول	**23**
الفصل الثاني **العقلانية والتقنية عند هابرماس**	
المبحث الأول: ماهية العقلانية وامتدادها	**25**
المطلب الأول: تعريف العقلانية وسمات العقل الأداتي	**25**
المطلب الثاني: العقلانية والبرهنة	**31**
المطلب الثالث: العقلانية والهرمونوطيقا	**31**
المطلب الرابع: العقلانية والتواصل.	**32**
المبحث الثاني: المعرفة والمصلحة	**35**
المطلب الأول: المعرفة والمصلحة بين التفاعل والهيمنة الأداتية.	**35**
المطلب الثاني: المعرفة والمصلحة وعوالم التفاعل	**38**
المطلب الثالث:التقنية والعلم كإديولوجيا	**39**
المطلب الرابع: الرأسمالية كمجال لهيمنة الرأسمالية الأداتية	**41**
المبحث الثالث: هابرماس والقول الفلسفي للحداثة	**42**
المطلب الأول: مفهوم الحداثة	**42**
المطلب الثاني: أبعاد الحداثة	**46**
1. البعد التقني والعلمي	**46**
2. البعد السياسي	**48**
3. البعد السيكولوجي	**51**
استنتاج الفصل الثاني	**53**
الفصل الثالث **ماهية اللغة ووظيفتها في التواصل**	
تمهيد	**56**
المبحث الأول :اللغة ووظيفتها في التواصل	**56**
المطلب الأول :تعريف اللغة	**56**
المطلب الثاني: البراجاماطيقا العامة عند هابرماس	**60**
المبحث الثاني : النظرية التواصلية وأبعادها عند هابرماس	**64**

المطلب الأول :تعريف التواصل	**64**
1) مراحل الفعل التواصلي	**67**
المطلب الثاني: نظرية الفعل التواصلي	**68**
1) تحقيق شروط التجربة التواصلية	**70**
2) الإعلام والتواصل	**71**
3) التفاهم أساس التواصل	**72**
المطلب الثالث: إتيتيقا النقاش والشروط الحقيقية لحوار حقيقي	**75**
1) أخلاقيات التواصل والمناقشة	**76**
المبحث الثالث :التواصل والعالم المعيش	**78**
المطلب الأول :مفهوم العالم المعيش	**78**
المطلب الثاني :الفعل التواصلي والعالم المعيش	**79**
المطلب الثالث :التداولية الكونية ونظرية أفعال الكلام	**81**
استنتاج الفصل الثالث	**83**
خاتمة	**84**
قائمة المصادر والمراجع	**87**
فهرس الأعلام	**93**
فهرس المحتويات	**94**

الملخص

تعتبر العقلانية التواصلية من أهم المباحث التداولية في الفلسفة المعاصرة، إذ أصبحت تشكل نظرية علمية وفلسفية مستقلة بذاتها، تغلغلت في نسيج الفكر الفلسفي في أوربا وأمريكا في القرن العشرين، وهذا راجع لأهمية هذا المبحث بعلاقته الوطيدة بالإنسان خصوصا في فترة تزايدت فيها النزاعات والحروب، حيث تمثل مدرسة فرانكفورت الرافد الأساسي لمبحث التواصل الذي نما فيها عبر فلاسفتها.

ويرجع الفضل في تطوير هذه النظرية إلى يورغن هابرماس الفيلسوف الألماني الذي يعد الممثل الرئيسي للجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت الذي سرعان ما تحول لناقد لها، فقد دافع عن العقل والعقلانية التي رأى أنها أساس النظرية الاجتماعية التي كانت احد المكونات الأساسية في مشروعه إضافة لذلك فلسفة اللغة، حيث اعتبر اللغة الوسيط الأساسي في النشاط التواصلي عن طريقها يتم الوصول لنوع من التفاهم الذي هو روديف الفعل التواصلي لأنه يهدف لتحقيق الاتفاق الذي يطلق عنه الاجماع، والهدف من مشروعه هو بناء نظرية خاصة بالمجتمع قائمة على التواصل بين الأنا والأخر على أساس أخلاقيات المناقشة.

résumé

On peut considère le rationnahisme contimr parmi les phrs importamtes et les phrs connves rechercherches dans le domoime de la philosophie nouvelle, car elle a formé une ane théorine xientifique et philosophie indépendante en europe et en améripua an vingtième 20 seiche.

En pahes cette recherche a une gronde valeur valeur qui a une relation avec l'homme, les comfhits et les guèrres l ecohe de frmefourt représente le fondateur de cett thérné sur tout avac le philosophe albemand yorgen Habermas le pére fomdateur en ce domaume qui représente la deuxiem génération de l'école ablemamde.

Mais ce philosophie a devem un critique contra son école puisque il a défemdu de tout ce qui est ratuonmel.

yorgen Habermas a suivi la théorie sociale qui était parm les primipales composantes dons son projit en outre la philosophie de langue car il a comsidéré .

la longue comme un imterméchaire pour contacter et pour comprendre.

N'outr philosophie alhomand a pour objectif de cacrture une théorie social priuée qui frit le contacte entre le moi et moi social